المجلس الأول من شرح متن الأصول الثلاثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة.

بادئ ذي بدأ نشكر الله ﷻ على ما أنعم وأولى وأعطى وأسدى، فالحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً سراً وجهرا، لك الحمد يارب على ماوفقت لإنشاء هذا المعهد الذي نسأل الله ﷻ أن يجعله مباركاً وأن يجعله منارة لنشر التوحيد والسنة، ولك الحمد أن وفقت شيخنا لهذا العمل الذي نسأل الله ﷻ أن يكون ذخراً له ولنا جميعاً في ميزان الحسنات ورفعة للدرجات في الجنّة يارب العالمين، فلا تكلنا يا ربنا إلى أنفسنا في إدارة هذا المعهد والقيام عليه طرفة عين ولا أقل من ذلك وكن لنا معيناً ومؤيداً، وارزقنا الإخلاص ياربنا، ووفق طلابه لتحصيل العلم النافع والعمل به.

والشكر موصول لشيخنا الفاضل الموفق بإذن الله تعالى الشيخ أبي الحسن علي الرملي جزاه الله خيراً على ما قدم وثابر وصبر، ثم إليكم أنتم أيها الطلاب الأفاضل: مرحباً بطلاب العلم، مرحباً بوصية رسول الله ﷺ.

وقبل الشروع في المقصود يحسن أن نقدم بمقدمات:

المقدمة الأولى:

اعلموا رحمني الله وإياكم أنّه لو لم يكن في شرف العلم وأهله إلّا أنّ الله ﷻ استشهد أهله على وحدانيته لكفى، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ ، وهؤلاء هم العلماء بالله، العلماء بدينه، الذي يخشون الله الخشية الحقيقية الكاملة، هم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ لا يستوون أبداً، وما أمرَ الله ﷻ نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلّا من العلم فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

وطلبك للعلم أيها الطالب علامة على أنّ الله ﷻ أراد بك خيراً وفضّلك على غيرك من الناس لما ورد في حديث معاوية في الصحيحين أنّه ﷺ قال: **"من يرد الله به خيراً يفقه في الدين"**، وتذكر حين طلبك للعلم أيها الطالب بأنك في قربة تقربك من الله ﷻ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، قال رسول ﷺ: **"ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده".**

وطلب العلم منه ما هو واجب عيني، وهو الذي يتعين تعلُمه على كلِّ مسلم ومسلمة ولا يسعُه جهلُه، ومن ذلك ما يتعلق بتعلم عقيدته وتوحيده لله ﷻ، فكيف يتجنب الوقوع في الشرك من لا يعرف التوحيد، وكذلك يجب عليه أن يتعلم ما يتعلق بصلاته وصيامه وما يتعلق بالزكاة إن كان له مال، وما يتعلق بالحج إذا كان مستطيعاً، وكيف يأتي بالعبادة على وجهها من لا يفقهها ولا يتعلمها ولا يعرف أركانها من مستحباتها، وكيف يبيع ويشتري من لا يعرف فقه البيع والشراء، فمن ترك من ذلك شيئاً استحق العقوبة والإثم لتقصيره.

ومن طلب العلم ما هو واجب كفائي، من ذلك معرفة العبادات بأدلتها وتفريعاتها ومعرفة الشبه الحادثة والنوازل المستعصية، بهذا العلم نحافظ على العقيدة والشريعة، هذا إذا طلبه البعض سقط الإثم عن الباقين وإذا لم يطلبوه جميعاً أثموا جميعاً، فقد تتأثر الشريعة بشبه المخالفين وتأصيلات المبتدعين، قال الله ﷻ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

لذلك قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنّ طلب العلم أفضل أعمال البدن في هذا الزمان بعد الفرائض.

ومن المهم جداً في هذا التقديم أن ننبه طلاب المعهد على بعض الآداب المتعلقة بالطلب، والتي على رأسها بل هو أهمها: **الإخلاص**، فيبغي الطالب بطلبه للعلم وجه الله والدار الآخرة لا يرجو ثناء الناس وشكرهم ومدحهم ولا يبغي الدنيا بطلبه للعلم أو يبغي نيل شهادة ليُذكر بين الناس، لأنّ طلب العلم عبادة والعبادة كي تقبل لا بد فيها من إخلاص لله ومتابعة للنبي ﷺ.

فينوي الطالب رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، لأنّ الأصل في الإنسان أنّه جاهل، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، ويحرص الطالب غاية الحرص على أن يعمل بعلمه وهذا الذي يساعد على ترسيخ العلم، ومما يروى عن علي رضي الله عنه قوله: **"هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل"**، وطالب العلم كذلك ينبغي عليه أن يبلغ ما علمه وأن يكون داعياً إلى الله بما علم، وعلى الطالب أن يتحلى بالصبر في ذلك كلّه، فيصبرُ على الطلب ولا يكلُّ ولا يملُّ، ويتذكرُ دائماً أنّه في عبادة، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾.

ومن الأسباب التي يستعين بها الطالب في طلبه للعلم تقوى الله: فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾، وهي وصية النبي ﷺ لأمته وهي وصية الصحابة والتابعين، وتقوى الله تكون بفعل الأوامر واجتناب النواهي، والتقوى يحصل بها زيادة الهدى وزيادة العلم وزيادة الحفظ، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾.

وينبغي على الطالب أن لا يكون متقطعاً في الطلب بل يكون مداوماً للطلب، إذا فرغ من متن فتح آخر وهكذا، ومما يستأنس به هنا ما يُذكر عن الكِسائي (إمام أهل الكوفة في النحو) أنّه طلب علم النحو فلم يتمكن ولم يوفق، وفي يوم وجد نملة تحمل طعاماً وتصعد به إلى الأعلى وكلما صعدت سقطت وأعادت وثابرت حتى تمكنت، فقال الكِسائي : هذه النملة ثابرت حتى وصلت للغاية فثابر هو حتى صار إماماً في النحو رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن الأسباب المهمة جداً والمعينة على نجاح الطالب واستمراريته: **الحفظ**، فأوصي إخوتي وأحبتي في هذا الصرح المبارك أن يعتنوا بالحفظ غاية الاعتناء فإنّ العلم حقيقة هو المحفوظ، فحقيقة علمك هو الذي تراه في الظلام وهو الذي يدخل معك الحمام.

واللهُ عَزَّ وَجَلَّ مدح هذه الأمة بأنّ حفظها في صدورها، فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وصحّ عن النبي ﷺ في سنن الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"نضّر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغَهُ فربّ حامل فقه إلى من هو أفقهُ منه وربّ حامل فقه ليس بفقيه"**، فيجب على طالب العلم حتى يصل إلى مبتغاه أن يحفظ ما سمعه وقرأه.

والحفظ حفظان حفظ صدر وحفظ سطر، فحفظ الصدر هو الحفظ عن غيب، وحفظ السطر هو أن يقيد ويكتب الفوائد وما يحتاج إلى الرجوع إليه مرة أخرى.

ومن جميل ما ينسب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله:

العلم صيد والكتابة قيده * قيد صيودك بالحبال الواثقة**

فمن الحماقة أن تصيد غزالة * وتتركها بين الخلائق طالقة**

والطالب إذا حفظ المتن وفهمه وضبط شرحه فإنّه بذلك يكون قد ألمّ بمادة هذا المتن حسب مستواه، لأنّ المتن على اختصاره يلخص لك المادة كلّها ويعطيك ما تحتاجه حسب مستواك، فمن أراد أن يضبط المادة ضبطاً ويتقنها إتقاناً يسهل عليه بعد ذلك مراجعتُها فعليه بحفظ المتون ومداومة النظر فيها.

واعلموا رحمني الله وإياكم أنّ الحفظ يشق على الإنسان في الأول لكن متى اعتاده سهل عليه، فيستعين بالله ولا يعجز ويترك الخمول والكسل، ويجد ويجتهد، وسيعينه الله عَزَّ وَجَلَّ بإذنه ورحمته.

وكان الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلّا ما حفظنا، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يوصي بحفظ المتون.

من أجل ذلك قالوا:

لذلكم من حفظ المتون * حازويا للشرف الفنون**

كذلكم من حفظ الأصول * فإنه قد ضمن الوصول**

ولا يُغلّب جانب الحفظ على الفهم.

إنما علمك ما تحفظه * مع فهم وتوق من غلط**

وتكثر من المراجعة للمفهوم كي تستحضره متى شئت ويبقى المحفوظ متقرراً في صدرك.

المقدمة الثانية: التعريف بالمؤلف:

مؤلف رسالة الثلاثة الأصول هو الإمام شيخ الإسلام العالم الرباني والمجدد لما اندرس من معالم الدين: أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب.

ولد في السنة **الخامس عشرة بعد المائة وألف للهجرة** ١١١٥ هـ في بلدة اسمها العيينة في نجد بالمملكة العربية السعودية، في بيت علم وشرف ودين.

نشأ في حجر والده وكان والده قاضياً في البلد وعالم مدرس، نشأ هذا الشاب نشأة عجيبة حيث حفظ القرآن دون العاشرة من عمره، وأمّ الناس وهو في الثانية عشر من عمره، وبعد ذلك تاقت نفسه للرحلة في طلب العلم فرحل وكان يرى الجاهلية المنتشرة في ذلك الوقت، فكانت الناس تعبد الأحجار والأشجار ويعبدون الجن والقبور، فذهب إلى المدينة النبوية وذهب إلى العراق ثم إلى الشام وبعد ذلك بدأ يجهر بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك ورجع إلى بلده وأوذي وأخرج، ولمّا كان في الدرعية آزره وأيده محمد بن سعود الأمير ونصره وتبنى دعوته وبدأت الدعوة من الدرعية.

تتلمذ رحمه الله على عدة مشايخ أبرزهم الشيخ محمد حياة السندي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وله طلاب كثيرون جداً من أبرزهم أبناؤه وأحفاده.

له مؤلفات كثيرة وعظيمة في فنون كثيرة لكن أكثرها يتعلق بالعقيدة والتوحيد ولعل أعظمها كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً ثناءات متتالية.

فقال عنه العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنّه * يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي**

وينشر جهراً ما طوى كلّ جاهل * ومبتدع منه فوافق ما عندي**

ويعمر أركان الشريعة هادماً * مشاهد ضلّ الناس فيها عن الرشد**

والإنسان إذا كان على الحق فا علموا أنّ له أعداء وخصوم، فما سلم من ذلك حتى الأنبياء والمرسلون.

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداءٌ له وخصوم**

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسداً وبغياً إنّه لذميم**

توفي الشيخ رحمه الله في السنة **السادسة بعد المائتين وألف للهجرة.**

والخلاصة أنّ هذا هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنّما قام لإظهار دين الله وإرشاد الناس إلى توحيد الله وإنكار ما أدخل الناس فيه من البدع والخرافات وقام أيضاً لإلزام الناس بالحق وزجرهم عن الباطل وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ولا زلنا نتفيأ ثمرة دعوته إلى هذه الساعة المباركة فنسأل الله أن يجعلنا وإياه في أعلى عليين.

ومن أراد الاستزادة من سيرة هذا العلم فليرجع إلى رسالة الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

المقدمة الثالثة: التعريف بالمؤَلف:

هذه الرسالة رسالة جليلة مختصرة (قليلة المبنى كثيرة المعنى) مؤيدة بالأدلة من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسوله ﷺ، وهي في أصل عظيم من أصول الإسلام وهو العقيدة.

والعلماء منذ القدم يهتمون بهذه المختصرات يُؤلفونها ويَتعَبون على اختصارها ثم يُحفظونها لطلبتهم ويشرحونها لهم لتبقى أصولاً عندهم يَستفيدون منها ويُفيدون غيرهم.

والبداءة بهذه المختصرات هو الأساس لطالب العلم.

فطالب العلم يبدأ بالتعلم شيئاً فشيئاً، يأخذ من مبادئ العلم وأصوله ويتدرج في ذلك، فالمختصرات طريق المطولات، فلا يمكنك يا طالب العلم فهم المطولات إلّا بعد فهم المختصرات.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

والرباني هو الذي يعلم صغار العلم قبل كباره، والعلماء يربون أنفسهم وطلابهم ابتداءً من المسائل الصغيرة إلى المسائل الكبيرة وهذا شيء واضح، فإنّ كلّ الأشياء تبدأ من أصولها وأساساتها ثم تكبر وتعظم بعد ذلك.

وأمّا ذلك الذي يهجم على العلم هجوماً من أعلاه، وهذا يتعب ولا يُحصّل شيئاً، بينما تجد ذاك الذي بدأ بالتأصيل من أصول العلوم ومختصاراتها وتدرج في العلوم انتفع جداً ووصل بإذن ربّه إلى مبتغاه.

عنوان هذه الرسالة: الأصول الثلاثة.

والأصول: جمع أصل، والأصل ما يبنى عليه غيره.

وهذه الأصول بُني عليها دين الإسلام بالكامل

هذه الأصول باختصار هي أسئلة القبر الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وقد ورد ذكر هذه الأسئلة في حديث عن النبي ﷺ يأتي ذكره إن شاء الله.

وتكمن أهمية هذه الأصول كونها تتعلق بأعظم أصول الإسلام، فهي تتعلق بالعقيدة، والعقيدة هي الأساس وعليها يبنى العمل.

العقيدة: لغة: مأخوذة من العقد والربط والشدّ بقوة.

اصطلاحاً: ما يُعقد عليه القلب.

وبينها وبين المنهج عموم وخصوص فإن المنهج هو الطريق الواضح.

نقول: منهج الرسول ﷺ أي: طريقه.

فبين العقيدة والمنهج عموم وخصوص، العقيدة من المنهج والمنهج أعمّ منها.

فإن المنهج يدخل فيه: العقيدة، يدخل فيه: الأخلاق، يدخل فيه: الفقه .. إلى غير ذلك.

وقد يُراود طالب العلم سؤال فيقول: لماذا ندرس هذه الرسالة دون غيرها؟

فنقول نحن ندرس الأصول الثلاثة:

- للإجابة على أسألة القبر الثلاثة. وإذا أجبت على هذه الأسئلة وثبتك الله حينها فقد فزت، ولا يثبت الله في ذلك الموقف إلّا الذين آمنوا، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾، فأسأل الله ﷻ أن يثبتني وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.
- وندرسها كذلك لأنّها مشتملة على أدلة هذه الأسئلة الثلاثة.
- وكذلك لنصيحة العلماء واعتنائهم بها.
- ولأن الله وضع لها القبول في الأرض.
- ولأنها مختصرة وواضحة.

ومن الأمور التي نذكرها قبل أن نبدأ بمادة الرسالة هي أنه يمكننا فهرست الرسالة وتقسيمها وهذا يساعد على الإلمام بها وتصورها مبدئيا: وسنقسمها على النحو الآتي:

إلى:

مقدمة: واشتملت على أمور ثلاث:

- المسائل الأربع المذكورة في سورة العصر.
- ثلاث مسائل يجب تعلمها والعمل بها (توحيد الربوبية – توحيد الألوهية- الولاء والبراء).
- الغاية من دراسة التوحيد.

ثم دخل المؤلف إلى أصل الرسالة وتطرق إلى بيان:

الأصول الثلاثة: وهي:

- معرفة الله.
- معرفة دين الإسلام بالأدلة.
- معرفة النبي ﷺ.

ثم ختم رسالته بـ:

خاتمة: وتبدأ من البعث بعد الموت إلى آخر الرسالة واحتوت على أمور مهمة تأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

دراستنا لهذه الرسالة ليس بالعسير، سنيسر قدر المستطاع، وسيكون مناسباً جداً لطالب العلم المبتدأ، ولن نأت بشيء جديد من عندنا، إذ لا جديد في العقيدة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، عقيدة النبيين والمرسلين، عقيدة الصحابة والتابعين، عقيدة الأئمة المجتهدين، ولن يَخرج شرحنا لهذه الرسالة على شرح مشايخنا المعاصرين رحم الله من مات منهم وثبّت الله من بقي منهم، ونفعنا بعلومهم، وهم من يصدق فيهم قول الله ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

اللهم اجعلنا منهم يا ربّ العالمين.

وسيلاحظ الطالب خلال هذه الدروس أننا نركز كثيراً على أمور فعليه التركيز عليها وحفظ ما استطاع منها وهي أمور خمسة:

أولها: التعريفات: وبها يُعرف معنى اللفظ ويُخرج غيره منه.

ثانيها: الأدلة: وهذا ما نلاحظه عند دراستنا لهذه الرسالة وغيرها إن شاء الله، وهذا الذي يجب أن يعتاده طالب العلم أن لا يعمل عملاً إلّا بدليل من كتاب أو من سنّة.

ثالثها: التقاسيم: ضبط التقاسيم حصر للعلم، ويمر معنا في هذه الرسالة كثيراً.

رابعها: الفروق: وهو معين على ضبط العلم وفهمه، وبه تفرق بين التقاسيم.

خامسها: الضوابط: وهذه تعين على ضبط الأمور خصوصا المشكل منها.

وكمثال على ما سبق: سيمر بنا دراسة الشرك:

فنعرف معنى الشرك ونذكر الأدلة على أن الشرك محبط للعمل ونذكر أنه ينقسم إلى أصغر وأكبر ونذكر الفرق بين قسميه الأصغر والأكبر ونعطي ضوابط تعرف من خلالها الشرك الأكبر وتعرف من خلالها الشرك الأصغر، فهذه الأمور الخمسة إذا ضبطت في ذهنك بقيت صورتها عالقة في الذهن لا تغادره بإذن الله.

نكتفي بهذا القدر من المقدمات بين يدي هذه الرسالة العظيمة وسنشرع في المقصود في الدرس القادم إن شاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الثاني من شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، أمّا بعد:

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس شرح الأصول الثلاثة التي نسأل الله ﷻ أن يرزقنا فيها الإخلاص والقبول وأن يوفقنا ويسددنا فيما نقول.

كنا في الدرس الأول قدمنا بمقدمات قبل الشروع في هذه الرسالة المباركة التي نفع الله بها خلقاً كثيراً ونسأل الله ﷻ أن ينفعنا بها جميعاً وأن يرفعنا بها في الجنّات درجات.

وكنا قد ذكرنا أنّ هذه الأصول الثلاثة باختصار هي أسئلة القبر الثلاثة: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

هذه الأصول متعلقة بأصلٍ عظيم من أصول الدين ألا وهو العقيدة.

والعقيدة هي: ما يُعقد عليه القلب، وبعبارة أخرى: حكم الذهن الجازم، خرج بقولنا: حكم الذهن، قول اللسان فإنّه لا يعتبر عقيدة فإنّ المنافق يقول بلسانه ما لا يعتقده قلبه، فلا تكون عقيدةً له، وخرج بقولنا الجازم: الشك، فإنّ الشاك غير معتقد حقيقة.

هذه العقيدة إن طابقت الواقع كانت عقيدة صحيحة وإن خالفت الواقع كانت عقيدة باطلة، وكمثال على هذا: اعتقاد النصارى أنّ الله ثالث ثلاثة، فإنّ هذه تعتبر عقيدة لهم لكنّها مخالفة للواقع فتكون عقيدة باطلة، عقيدة فاسدة.

وذكرنا كذلك أنّ العلماء اعتنوا بهذا المختصر، تحفيظاً وشرحاً لطلابهم، لأمور منها:

- معرفة هذه الأصول بأدلتها وهذا يمكنك من الاجابة على أسئلة القبر الثلاثة.
- ولأنّها مختصرة وواضحة.
- لأنّ الله وضع لها القبول في الأرض.

درسنا لهذه الليلة سيكون في التعليق على الجزء الأول من المقدمة التي قدم بها اللمؤلف رحمه الله بين رسالته ونحن كنا قد قسمنا المقدمة إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول الذي سنتطرق له الليلة هو ما يتعلق بوجوب تعلم أربعة أمور وهي مذكورة ومجموعة في سورة العصر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته بالبسملة اقتداءً بالكتاب والسنّة.

فإنّ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ يبتدأ بالبسملة، فأول ما تفتح المصحف أول ما يقع عليه بصرك البسملة، ونبي الله سليمان عليه السلام ابتدأ كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ بالبسملة، ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾، والرسول ﷺ كان يبتدأ رسائله إلى الملوك بالبسملة، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري.

الباء في بسم حرف جر، **واسم:** اسم مجرور بالباء.

والجار والمجرور لا بد له من متعلَّق يتعلقُ به ويبين معناه، والمتعلَّق في البسملة نقدره فعلاً محذوفاً مؤخراً مناسباً للمقام، تقديره حسب المراد، فإذا جئت تكتب وقلت بسم الله فمعناها: بسم الله أكتب، أو: اكتب مستعينا بالله، وحين الأكل إذا قلت بسم الله يكون تقدير الفعل المحذوف: بسم الله آكل، أو: آكل مستعينا بالله.

والله: علم على الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو الذي تتبعه جميع الأسماء، ولا يسمى به غيره وهو مشتق من: أله يأله إلاهة وهو المألوه أي: المعبود محبة وتعظيماً.

الرحمن: ذو الرحمة الواسعة العامة وهو من الأسماء الخاصة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يسمى به غيره.

الرحيم: ذو الرحمة الواصلة الخاصة بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

وأمّا الحديث الوارد في ذلك: **"كلّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر"** فهو ضعيف لا يصحّ، وقد ضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في إرواء الغليل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **"اعلم رحمك الله".**

المؤلف أتى هنا بكلمة **اعلم** لإثارة الانتباه.

وكلمة **اعلم**: فعل أمر من العلم، فهو يأمرك بأن تعلم وتجزم بما سيلقى عليك ولا يكن عندك شك في ذلك.

العلم: هو إدراك الشيء على ماهو عليه إدراكاً جازماً.

إدراك الشيء حسب ما هو عليه في الواقع إدراكاً جازماً.

وضده الجهل: والجهل قسمان: بسيط ومركب.

- **البسيط:** عدم الإدراك بالكلية.
- **المركب:** إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.

وأمّا قوله: **"رحمك الله"**:

دعاء بالرحمة وهو يتضمن التوفيق للعمل فيما يُستقبل والمغفرة فيما مضى من الذنوب، وإذا اقترن الدعاء بالرحمة والمغفرة فيقول لك: **رحمك الله وغفر لك**: فإنّ معنى الدعاء بالرحمة في حالة الاقتران التوفيق للعمل فيما يُستقبل.

هذا الدعاء تلطف من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مع الطالب، فهو يدعو لك بالرحمة، وهذا الدعاء من هذا العالم الجليل والرجل الصالح أرجى للقبول إن شاء الله، ومن صفات العلماء أنّهم يحسنون تربية طلابهم ويربونهم على الأخلاق الفاضلة وهم أشد حرصاً لنفع الناس، وأمّا الشدّة الزائدة والغلظة والفضاضة فليست من أسلوب العلماء والدعاة إلى الله، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: **"أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل".**

الواجب: في اللغة هو: اللازم والساقط.

وأمّا في الاصطلاح فهو: ما أمر به الشرع على وجه الإلزام.

أو نقول: ما يُثاب فاعله ويستحق تاركه العقاب.

فالمؤلف يقول لك يجب عليك أن تعلم هذه المسائل وجوبا لا نفلاً، فإن لم تتعلمها وقصرت في ذلك فإنّك مستحق للعقوبة والإثم.

و الواجب كما مرّ معنا منه ماهو: كفائي: إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين وإذا لم يفعلوا جميعاً أثموا جميعاً.

وقسيمه الآخر الواجب العيني وهو: ما يلزم كلّ واحد بعينه أي بنفسه.

الوجوب الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا لجميع المسلمين والمسلمات المكلفين والمكلفات لا على طلاب العلم فقط، لا، يدخل في الوجوب الجميع.

وأمّا قوله **تعلم**: لا مجرد القراءة، لابد في التعلم من الحفظ والفهم.

قال: **"أنّه يجب علينا تعلم أربع مسائل".**

المسائل: جمع مسألة والمسألة من السؤال (مباحث).

وهو ما يبرهن عليه في العلم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: "الأولى: العلم".

يعني المسألة الأولى التي يجب تعلمها من هذه المسائل الأربع هي العلم وقد سبق تعريف العلم وقلنا هو: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع إدراكاً جازماً من غير شك.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهو معرفة الله".

فهذه السماء والأرض وهذا الليل والنهار وهاته الجبال والبحار وغير ذلك من مخلوقات الله وآياته، كلّ ذلك لا يمكن أن يكون وجد من غير موجد، لابد لها من موجد وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد قيل لأعرابي: بم عرفت ربّك؟ قال: سبحان الله، البعرة تدلّ على البعير والأثر يدلّ على المسير، فبحار ذات أمواج وجبال ذات فجاج وليل داج، ألا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: معرفة الله قسمين عامة وخاصة.

المعرفة العامة: الإقرار به والتصديق والإيمان.

المعرفة الخاصة: وهذه تقتضي ميلَ القلب بالكلية إلى الله، والانقطاعَ إليه، والأنسَ به، والطمأنينةَ بذكره والحياءَ منه والهيبة له. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذه المعرفة الخاصة هي التي وردت في قوله ﷺ: "تعرف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدة".

والمعرفة العامة هي المقصودة في قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ : معرفة الله.

هذه المعرفة بالله تقتضي منك الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والانقياد لأوامره والبعد عن زواجره.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومعرفة نبيه".

وهو محمد ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة.

فتعرف اسمه ونسبه ومولده وموطنه الذي عاش فيه وشرعه الذي جاء به فتتبع ولا تبتدع.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومعرفة دين الإسلام".

الإسلام: لغة: هو الاستسلام. أي: الانقياد.

شرعاً: يُطلق على معنيين.

معنى عام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وبتفسير آخر: هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الرُّسل إلى أن تقوم الساعة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾، فأتباع الرّسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى ﷺ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى ﷺ، هذا المعنى هو المعنى العام للإسلام.

وأمّا الإسلام بالمعنى الخاص: فهو الاسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ .

فلا دينَ إلّا دينُ محمدٍ ﷺ . فإنّ الاسلام الذي بعث الله به نبيَه محمداً ﷺ نسخ جميع الأديان التي كانت قبله، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلمٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"بالأدلة:".**

الدليل: هو المرشد إلى المطلوب.

فمعرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام تكون بالإدلة لا تكون بالهوى أو بالتقليد.

هذه الأدلة تنقسم إلى قسمين:

- **أدلة عقلية:** وهي ما يثبت بالعقل والتفكر.
- **أدلة سمعية:** وهي نصوص الكتاب والسنة.

معرفة الله تكون بالأدلة العقلية كما مرّ معنا وذلك بالتأمل في آياته ومخلوقاته، وتكون بالأدلة السمعية.

معرفة نبيه ﷺ تكون كذلك بالأدلة العقلية، لذلك أعطى الله نبيه ﷺ معجزات وأعظم المعجزات القرآن الكريم وهذه المعجزة باقية فمن قرأ القرآن وتأمل فيه وتدبر علم أنّه ليس بكلام للبشر، وتكون معرفة النبي ﷺ كذلك بالأدلة السمعية.

أمّا معرفة دين الإسلام فهذه لا سبيل لمعرفتها بالعقل، لا بد فيها من النص.

لا رأي في الدين ولا استحسانا * فالله قد أكمله بيانا**

قال الشيخ رحمه الله: **"الثانية: العمل به".**

أي: العمل بالعلم، فيجب عليك أن تعمل بما علمت.

فإذا علمت أنّ الله ﷻ واحد في ربوبيته فهو: الخالق الرازق المدبر، فلا تسأل الرّزق إلّا من الله، ولا يتعلق قلبك بغيره أبداً، وإذا علمت أنّ الله واحد في ألوهيته ولا يستحق العبادة معه غيرُه فلا تعبد مع الله أحداً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا علمت أنّ لله الأسماء الحسنى وأنّ الله سميع، أحاط سمعه كلّ المسموعات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فيجب عليك أن تعمل بهذا العلم فتحذر أن تقول كلاماً لا يرضاه الله فإنّه يسمع السرّ وأخفى، وإذا عرفت أنّ الله ﷻ بعث محمداً ﷺ نبياً لهذه الأمّة فيجب عليك العمل بذلك ويجب عليك اتباعه فيما أمر واجتناب ماعنه نهى وزجر وأن لا تعبد الله ﷻ إلّا بما شرعه ﷺ، وإذا عرفت بأنّ الإسلام هو دينُك فيجب عليك أن تعمل بهذا الإسلام، فتستسلم لله بالتوحيد وتنقاد له بالطاعة وتتبرأ من الشرك وأهله.

والعمل هو الثمرة المطلوبة من العلم.

في الحديث: **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ومنها: وعن علمه فيما فعل؟"** أخرجه الترمذي وصححه الألباني رحمه الله، وقال علي رضي الله عنه: **"هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل".**

وقال آخر:

وعالم لم يعملن بعلمه * معذب من قبل عباد الوثن**

قال الشيخ رحمه الله: **"الثالثة: الدعوة إليه".**

فإذا منَّ الله ﷻ عليك أيها الطالب: بالعلم والعمل فإنّه يجب عليك الدعوة إلى ما جاء به النبي ﷺ، فتدعو الناس إلى ما عرفته من توحيد لله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، تدعو الناس إلى الإسلام الصحيح الخالي من شوائب البدع والخرافات، تدعو الناس إلى الايمان بالنبي ﷺ واتِباعه.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾.

وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: **"فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعم"** والحديث أخرجه البخاري ومسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **"من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً".** رواه مسلم.

فالدعوة إلى الله واجبة كلٌّ على القدر الذي يستطيعه وحسب علمه، فالدعوة إلى الله تجمع بين العلم والحكمة واللين والرفق وتكون على بصيرة بحال الدعوة وحال المدعو وتكون بالمجادلة بالتي هي أحسن إلّا الذين ظلموا وعُلم منهم العناد والكبر فهؤلاء معهم حال آخر، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: "﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣﴾ .

قال الشيخ رحمه الله: **"الرابعة: الصبر على الأذى فيه".**

إذا فعلت كلّ هذا أيها الطالب تعلمت وعملت ودعوت وكنت مقتفيا سنن النبيين والمرسلين فاعلم أنّه لا بد أن يصيبك الأذى، فإنّ الذي يمنع الناس شهواتهم وأهواءهم يؤذونه إمّا بأقوالهم وإمّا بأفعالهم، فحينئذ يجب عليك أن تصبر، والصبر واجب وهو من المهمات، وقد أمر الله به في آيات كثيرة ومدح أهله.

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾، وقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾.

فيصبر في هذه الأمور كلّها، يصبر على التعلم وعلى العمل وعلى الدعوة في سبيل الله.

والصبر في لغة العرب: الحبس.

وفي الشرع: حبس اللسان عن التشكي والتسخط والنفس عن الجزع والجوارح عن لطم الخدود وشقّ الجيوب.

وهو ثلاثة أقسام:

- صبر على الطاعة حتى يأديها، فأنت تصبر على أن تصلي الصلاة في وقتها، وتؤدي الزكاة المكتوبة، وغير ذلك من الطاعات.
- صبر على المعصية حتى يتجنبها، فأنت تصبر ولا تكذب ولو كان الكذب في نظرك سينجيك.
- صبر على أقدار الله المؤلمة، فيصبر الإنسان على الفقر إذا كان فقيراً ويحتسب الأجر من الله ﷻ.

قال الشيخ رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾".

المؤلف رحمه الله يربي الطالب على الدليل، المؤلف رحمه الله كما أشرنا في الدرس الماضي شديد الحرص على الدليل فهو لا يقول شيئاً إلّا ويعقبه بالدليل، وسيمر معنا هذا كثيراً في هذه الرسالة وفي رسائله الأخرى إن شاء الله، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة فإنهم يبنون عقائدهم على الدليل لا على التقليد ولا على إعمال العقل وتعطيل النقل.

الواو في قول الله تعالى **والعصر**: حرف قسم (حروف القسم ثلاثة وهي: الواو والباء والتاء) فتقول: والله وتقول" بالله وتقول: تالله.

والله ﷻ هو الصادق وإن لم يقسم، ولكن القسم هنا للتأكيد، والله ﷻ له أن يقسم بما يشاء، وقد أقسم بالسماء، وأقسم بالشمس وضحاها وبالليل إذا يغشى، وغير ذلك كثير، وهذا القَسم بهذا المُقسَم به لبيان عظمة الشيء المحلوف به من مخلوقاته، لكن المخلوق ليس له ذلك، فلا يقسم إلّا بالله تعالى، قال ﷺ: **"من حلف بغير الله فقد أشرك"**، والحديث عند أبي داود وقد صححه الألباني رحمه الله. وقال ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه: **"إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".**

ولا يأت آت ويقول لنا: الله ﷻ يقسم بمخلوقاته فنحن كذلك لنا أن نقسم بالمخلوق، فنقول له: لا، أنت لا تقس نفسك على خالقك، فإنّ الله الذي هو سيدك أمرك أن لا تقسم بغيره فيجب عليك امتثال أمره.

والعصر الذي أقسم الله به: اختلف في معناه على عدّة معانٍ أشهرها:

هو وقت صلاة العصر المعروفة من نهاية وقت الظهر الى دخول وقت المغرب، وقال آخرون: العصر هو الدهر، هو الزمان كلّه الذي هو محلّ العمل، محلّ تحصيل الحسنات أو السيئات.

والقسم لا بد له من جواب القسم وجوابه هنا: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾

وجواب القسم جاء مؤكداً بإنّ وجاء مؤكداً كذلك باللام في قوله لفي، فاجتمعت ثلاثة مؤكدات في هذا المحل، وهي: القسم وإنّ واللام، وهذا الأسلوب يصلح خطاباً لمن كان ينكر هذا الأمر.

وفي قول الله: **"إن الإنسان"**: أي: جنس الإنسان (كلّ الانسان) فهي تفيد العموم وتشمل جميع جنس الإنسان، كلهم في خسران إلّا من استثناه الله ﷻ بعد ذلك وهم: **الذين امنوا وعملوا الصالحات**، فجمعوا بين الايمان القلبي وبين العمل بالجوارح، **وتواصوا بالحق** أي: أوصى بعضهم بعضاً بالايمان بالله وطاعته، **وتواصوا بالصبر** فأوصى بعضهم بعضاً بالصبر.

واستدلال المؤلف على وجوب العلم في سورة العصر من قوله: **إلّا الذين آمنوا**، فإنّ الإيمان هو التصديق لكن بأيّ شيءٍ تُصدق وبأيّ شيءٍ تُؤمن، فهذا الإيمان، هذا التصديق مسبوق بعلم، فأنت تُصدق وتؤمن بما علِمته وتَيقنته، فالعلم قبل القول والعمل، لذلك استنبط الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ العلم من قوله تعالى: **إلّا الذين آمنوا**، وهذا من دقيق فهمه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين: **"أقسم الله سبحانه أنّ كلّ أحدٍ خاسرٌ إلّا من كمُلت قوّته العلمية بالإيمان وقوّته العملية بالعمل الصالح، وكمّل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه، فالحق هو الإيمان والعمل ولا يَتمّان إلّا بالصبر عليهما والتواصي بهما".**

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "لو ما أنزل الله حجّة على خلقه إلّا هذه السورة لكفتهم"".**

الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ محمد بن إدريس، أحد الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، المُتوفى سنة أربعٍ ومئتينِ للهجرة ٢٠٤ هـ، ينتهي نسبه إلى بني المطلب من قريش.

وهذا القول عزاه الشيخ حماد الأنصاري لمناقب الشافعي للامام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ .

الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال ذلك: لأنّ هذه السورة فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة، والقرآن كلّه هو تفصيل لهذه المسائل الأربعة.

وليس معنى كلام الشافعي أنّ هذه السورة تكفي وتُغني عن القرآن كلّه، لكنّها كافية في إقامة الحجّة على بني آدم.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وقال البخاري رحمه الله تعالى: بابٌ: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل".**

البخاري هو: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، إمام أهل الحديث وجبل الحفظ، صاحب الصحيح، الذي هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى.

المُتوفى سنة: ستٍّ وخمسين ومئتين للهجرة ٢٥٦ هـ.

وقوله: **باب**، العلماء رحمهم الله يقولون: إنّ فقه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه في تبويبه للأبواب، فإذا قرأت عنوان الباب فإنّك تأخذ من ذلك أموراً كثيرة.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: **بابٌ: العلم قبل القول والعمل.**

فإن العمل لا ينفع إلّا إذا كان مبنياً على علم، والعمل الذي يبنى على جهل لا ينفع بل قد يضر.

واستدل على ما قاله رحمه الله بالآية: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ وجه الاستدلال من الآية: فاعلم العلم، واستغفر: العمل، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل لأن قول اللسان عمل، فلا يتصدى أحدٌ لدعوة الناس إلّا بعد العلم، ولا يتصدى العابد إلى عبادة إلّا بعد العلم، فالعلم قبل القول والعمل.

والذي يعمل بغير علم يُفسد أكثر مما يصلح ويكون فيه شبه بالنصارى، بخلاف اليهود فإنّهم يعلمون ولا يعملون ولذلك أمرنا الله عز وجل أن نسأله أن يجنبنا صراطهم فقال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

والمغضوبُ عليهم في الآية هم اليهود لأنّهم علموا ولم يعملوا، والضالون هم النصارى فإنّهم يعملون من غير علم، والله عز وجل أمرنا أن نسلك طريق المنعم عليهم الذين يعلمون ويعملون.

فأنت يا أخي الفاضل ترى بأنّ المؤلف رحمه الله يمهد للأصول الثلاثة وقبل أن يسردها أتى بهذه المسائل الأربعة وبدأ بتفصيلها وبدأ أول ما بدأ بالعلم وفسره بالعلم بالأصول الثلاثة، بأن تعلم: من ربك وما دينك ومن نبيك.

فالمؤلف رحمه الله ينبه طالب العلم أن العلم مهم للغاية، حتى إنه قبل القول والعمل، وهذا العلم هو الذي ينجي به نفسَه -بفضل الله جل وعلا- إذا سئل عن هذه المسائل الثلاثة.

هذا ما تيسر لنا في هذا الجزء الأول من المقدمة نسأل الله الإعانة والتيسير.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الثالث من شرح متن الأصول الثلاثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه على آله وصحبه وسلم.

مرّ معنا في الدرس السابق ذكر المسائل الأربع التي في سورة العصر، والتي يجب على الإنسان إذا أراد نجاة نفسه وأن لا يكون من الخاسرين أن يتعلمها وهي: **العلم والعمل والدعوة والصبر**، وذكر المؤلف رحمه الله أنّ العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه محمداً ﷺ ومعرفة دين الإسلام، فيعرف ذلك كلَّه بالأدلة لا بالتقليد ولا بالهوى، وذكرنا كذلك تعريف الإسلام بمعناه العام وبمعناه الخاص، ومما يُعلم هنا أنّ دين الأنبياء كلُّهم من أولهم إلى آخرهم هو الإسلام، وأنّ الله تعالى لن يَقبل من أحدٍ غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾، وجاء في الصحيحين: صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: "**الأنبياء إخوة لعلّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**"، وإذا كان ذلك كذلك فيمكن أن نقول في تعريف الإسلام بمعناه الخاص هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، لأنّ المعنى الخاص يدخل في المعنى العام، فأنّ دين محمد ﷺ هو دين جميع الأنبياء، دينهم واحد، فلا يأتي أحد ويقول أنا مسلم على دين موسى ويقول آخر أنا مسلم على دين عيسى ويقول لنا: أنا مستسلم لله بالتوحيد منقاد له بالطاعة متبرأ من الشرك وأهله، لكن هو غير متبع لمحمد ﷺ، متبع لرسول غير محمد ﷺ، وقلنا فيما سبق أنّ أتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، أمّا بعد بعثة محمد ﷺ فليسوا بمسلمين، لذلك هذا المعنى الخاص يخصص المعنى العام، فيكون الإسلام هو ما جاء به محمد ﷺ، فقد نسخ الله به جميع الأديان والشرائع، فلا دين إلّا دينه ولا شرع إلّا شرعه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

درسنا لهذه الليلة بإذن الله تعالى يكون في التعليق على المقدمة الثانية التي قدّم بها المؤلف رحمه الله بين يدي رسالته.

قال المؤلف رحمه الله: **"اعلم رحمك الله أنّه يجب على كلّ مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن".**

قوله: اعلم سبق وأن أشرنا إلى أنّ هذه الكلمة يُؤتى بها لإثارة الانتباه لما سيلقى عليك.

وقوله: **رحمك الله** فيه الدعاء للطالب، وهذا من الأسلوب الحسن ومن التلطف مع الطالب، وهذا من أعظم وسائل التعليم، ولا يكن المعلم شديداً قاسياً، فإنّ هذا ينفر الطالب عن تحصيل المطلوب.

وأمّا قوله: **يجب**، فقد مرّ معنا ونعيد ذلك كي يتقرر ذلك عند الطالب، وقد يرى الطالب هذا الأسلوب كثيراً خلال هذه المدارسة، فلا يأخذه السأم والملل.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله :

فلا يملّنك ما تكررا * لعلّه يحلوا إذا تقررا**

فالواجب لغة: هوالساقط وهو اللازم وهو الحتم. (أي: يلزمك أن تعلم ويتحتم عليك أن تعلم).

وأمّا في الاصطلاح: فهو ما أمر به الشارع أمراً جازماً، أو: ما يُثاب فاعله ويستحق العقوبة تاركه.

وهذا الواجب ينقسم إلى قسمين:

- **واجب كفائي:** وهو الذي إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين.
- **واجب عيني:** وهو اللذي يلزم كلّ واحد بعينه، وهو المقصود هنا.

فهذا الأمر بتعلم هذه المسائل مُوجه لجميع المكلفين إنسهم وجنهم رجالهم ونسائهم، وليس الأمر للاستحباب والنفل، بل يتعين ويجب على كلّ واحد بعينه.

وأمّا قول الشيخ رحمه الله: **مسلم ومسلمة**: فإنّ النساء شقائق الرِّجال، لأنّ الأصل عموم الشريعة، فهي تشمل الرِّجال والنساء إلّا ما خصّه الدليل كالجهاد في سبيل الله مثلاً وكصلاة الجماعة فهذه تجب على الرّجال دون النساء، ولو لم يقل المؤلف رحمه الله **ومسلمة** لدخلت المسلمات تحت قوله **مسلم**، لكنّه نصّ عليها للتأكيد.

وقوله **تعلم** ثلاث هذه المسائل لا مجرد القراءة والمطالعة، وإنّما التعلم يكون بالحفظ والفهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الأولى: أنّ الله خلقنا".**

أولى هذه المسائل الثلاث التي سيذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **أنّ الله خلقنا**.

ومعنى **خلقنا**: أي: أوجدنا من العدم (من لا شيء).

ودليل أنّ الله خلقنا: عقلي وسمعي، فالعقلي: ما يثبت بالعقل، و السمعي: ما يثبت بأدلة الكتاب والسنّة.

الأدلة السمعية كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾.

أمّا الدليل العقلي فإنّ كلّ حادِث لا بدّ له من مُحدِث، ووجود مثل هذا الخلق العجيب لا يمكن أن يكون صدفة، والإنسان قبل وجوده عدم، والعدم ليس له القدرة على أن يُوجد نفسه فضلاً أن يُوجد غيره.

وإلى هذا أشار الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾

ثم قال: **"ورزقنا".**

من الأدلة السمعية على أنّ الله رزقنا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾

أمّا الدليل العقلي على أنّ الله رزقنا فإننا لا نعيش إلّا على طعام وشراب وهذا الطعام والشراب هو من مخلوقات الله تعالى، والإنسان بعمله للحراثة والسقي ما هو إلّا سبب وإلّا فإنّ الله هو المسبب حقيقة، فمن الذي يرزق الجنين ويوصل له الطعام والشراب في بطن أمّه من غير حول منه ولا قوة.

ثم قال: **"ولم يتركنا هملاً".**

الهمل: هو الشيء المهمل المتروك الذي لا يُعبأ به.

فالله عَزَّوَجَلَّ لم يتركنا هملاً بِلا أمر ولا نهي ولا بيانٍ لما نحتاجه في ديننا ودنيانا، بل بيّن لنا طريق الخير وطريق الشّر، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾، وقال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾، وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾.

وهذه غاية خلق الجنّ والإنس، وهي: عبادة الله وحدَه وتوحيدُه، والآيات الشرعية التي تدلّ على هذه الغاية كثيرة، ومن الآيات العقلية التي تدلّ على أنّ الله ﷻ لم يتركنا هملاً ولم يخلقنا سدى أنّه لا يليق بحكمة الله ﷻ أن يخلق هذا الخلق العجيب ويُسخر لنا هذا الكون بأكمله ويُرسل الرُّسل ويُبيحُ لهم دماء المعارضين ثم يتركنا نموت ونذهب دون نتيجة، فهذا عبث لا يليق بحكمة الله ﷻ .

فمن عدل الله ﷻ أنّه يُجازي المحسن ويُعاقب المسيء.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾، وقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾.

ثم قال رحمه الله: **"بل أرسل إلينا رسولاً".**

لمّا كانت هذه العبادة التي أمرنا الله بها وخلقنا لها لا تُؤخذ من استحسانات البشر وآرائهم وعقولهم أرسل اللهُ الرُّسلَ ليبينوا للناس كيفية هذه العبادة وينذروهم ويبشروهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾، فهذه العبادة التي أمرنا الله بها وخلقنا لأجلها تؤخذ عن الرسل لا تؤخذ عن غيرهم، قال رسول الله ﷺ: **"من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**. وهذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها وهو متفق عليه.

والرسول: رجلٌ من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، لإقامة الحجة على الخلق، قال الله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾.

والله ﷻ تفضل على هذه الأمة وأرسل إليها أفضل رسله وهو: محمد ﷺ آخر الرسل وخاتَمهم.

أرسله الله إلينا كما أرسل من قبله إلى أممهم ليبين لنا الحكمة التي خُلقنا من أجلها وهي عبادة الله وليبين لنا كيفية هذه العبادة وأمرنا بالتوحيد ونهانا عن الشرك والبدع والمعاصي.

قال رحمه الله: **"فمن أطاعه دخل الجنة".**

أي: من أطاع هذا الرسول المُرسَل وهو محمد ﷺ كان جزاؤه دخول الجنّة.

في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"كلّ أمتي يدخلون الجنّة إلّا من أبى"**. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **"من أطاعني دخل الجنّة ومن عصاني فقد أبى"**. فطريق الجنّة هي طاعة الرسول ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾.

قال رحمه الله: **"ومن عصاه دخل النّار"**.

أي: من عصى هذا الرسول الذي أرسله الله وهو محمد ﷺ أدخله الله النّار جزاء عصيانه رسولَ ربّه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا مُّبِينًا﴾.

"والدليل": أي الدليل على إرسال هذا الرسول.

قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا﴾".

إنا: الضمير يرجع إلى الله ﷻ، وهذا ضمير المعظِم نفسَه لأنّه عظيم ﷻ.

أرسلنا: وهذا كذلك ضمير العظمة، أي: بعثنا.

إليكم: معشر الجنّ والإنس، لأنّ رسالةَ محمدٍ ﷺ رسالةٌ عامة.

رسولاً: وهو محمد ﷺ.

شاهداً عليكم: يشهد عليكم أمام الله ﷻ أنّه بلّغكم، وهذه الحكمة من إرسال الرُّسل، إقامة الحجة.

كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً: مثلما أرسلنا موسى عليه السلام إلى فرعون ليقيم عليه الحجّة، وفرعون هو ملك تجبر وادعى الربوبية ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾.

فعصى فرعونُ الرسولَ: كفر فرعونُ بموسى عليه السلام رغم الآيات التي جاءه بها.

فأخذناه أخذاً وبيلاً: أخذ اللهُ ﷻ فرعونَ أخذاً شديداً قوياً، فأغرقهُ اللهُ وقومَه في البحر ثم أدخلهم النّار،

قال الله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾، فهذه ثلاث عقوبات:

- الإغراق في الدنيا.
- العذاب في البرزخ إلى قيام الساعة.
- الدخول إلى أشدّ العذاب يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ أي: في البرزخ، أي: القبر.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

كلّ من عصى الرسولَ تكونُ عقوبتُه ومآله إلى ما آل إليه من عصى موسى عليه السلام أو أشدّ.

خلاصة هذه المسألة:

توحيد الربوبية في قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **"أنّ الله خلقنا ورزقنا"**.

ويؤخذ كذلك من هذه المسألة وجوب اتباع الرسول ﷺ.

فأنت أيها المخلوق قد تكفل الله بخلقك ورزقك وأرسل إليك رسولاً لغاية يجب عليك معرفتها كي تطيعه فتكونَ من الفائزين، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كأنّه يريد أن يحفزك وينشطك ويهيأك لمعرفة هذه الأصول.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **"المسألة الثانية: أنّ الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته"**

المسألة الثانية من هذه المسائل الثلاث خلاصتها أنّ من أقرّ بتوحيد الربوبية وأنّ الله هو الخالق الرازق وجب عليه توحيده وعدمَ الإشراكِ به في عبادته (وهذا هو توحيد الألوهية، وهو أن نوّحد الله عَزَّوَجَلَّ في عبادتِنا له)، وهذا الأسلوب كثير في القرآن، يذكر الله توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية.

والرسل لم يدعوا الناس إلى عبادة الله هكذا مطلقة، لكن أمروا الناس أن يعبدوا الله وأن لا يعبدوا معه غيرَه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، فالحاصل أننا أُمرنا بعبادة الله وأمرنا كذلك بعدم عبادة غيرِ الله مع الله، فإنّ العبادة لا تُقبل إلّا إذا كانت صواباً على سنّة النبي ﷺ وأن تكون خالصة لله وحده لا يُخالطها شرك فمتى خالطها شرك فسدت.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾، فإنّ العبادة لا تُسمى عبادة إلّا مع التوحيد كما أنّ الصلاة لا تُسمى صلاةً إلّا مع الطهارة، فإذا خالط الشركُ العبادةَ فسَدت كما أنّ الطهارة إذا خالطها ناقض من نواقض الوضوء أفسد الصلاة وأبطلها، لهذا أنت تجد الله عَزَّوَجَلَّ يجمع بين الأمر بعبادته والنهي عن الإشراك به.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾.

فالله ﷻ أمرنا بعبادته وأمرنا بالإخلاص في هذه العبادة، أي: عدمَ الإشراكِ به.

وجاء في الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: **"أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عَمِل عَملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"** رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسيأتي تعريف الشرك بإذن الله تعالى وتفصيل القول فيه.

قوله: **"لا ملك مقرب".**

أي: أنّ الله ﷻ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته ولو كان ملكاً مقرباً، والملك واحد الملائكة، مأخوذ من الألوكة، وهي: الرسالة، والملائكة عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خُلقوا من نور، وهم مقربون من الله ﷻ مكاناً ومكانةً، فالمكان هم في السماوات ومن حيث المكانة أنّ الله اصطفاهم وكلّفهم بوظائف، وهؤلاء مع قربهم من الله ﷻ فإنّ منهم من هو أقرب من غيرهم كجبريل عليه السلام وكحملة العرش، وهؤلاء مع قربهم من الله ﷻ فإنّه لا يرضى لنا أن نشركهم معه في عبادته، لأنّ العبادة حق خالص لله وحده لا شريك له.

وأمّا قوله: **"ولا نبي مرسل".**

لا يرضى الله أن نشرك معه حتى النبيين والمرسلين وهم خير العباد وأفضلهم كمحمد ﷺ وكإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، فإن هؤلاء أفضل الأنبياء والمرسلين وأولائك أفضل الملائكة والله ﷻ لا يرضى لنا أن نشركهم معه في عبادته فغيرهم من باب أولى.

ثم قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾"**

المساجد إما أن تكون:

- هذه المباني المعدّة لإقامة الصلاة (الجوامع).
- وقد تكون مواضع السجود السبعة. (الجبهة ومعها الأنف واليدين والركبتين وأطراف القدمين).
- الأرض: قال ﷺ: **"أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي"** وذكر منها: **"وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"** رواه البخاري رحمه الله.

هذه المساجد بأنواعها كلُّها لله ﷻ لا لغيرِه، فلا يجوز لك أن تعبد بها غيرَه لأنّك إذا فعلت ذلك تكون قد استعملت خلقَه في عبادة غيره.

فلا: هذه: لا الناهية.

تدعوا: خصّ الدعاء بالذكر من بين سائر العبادات لأنّ الدعاء يشمل العبادة، وفي الحديث: **"الدعاء هو العبادة"**، والدعاء ينقسم إلى قسمين:

- **دعاء عبادة:** وهو التعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه كالصلاة وكالصيام وغيرها.
- **دعاء مسألة:** طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو يدفعه.

وكلمة **أحداً:** عند أهل الاصول نكرة مسبوقةٌ بنهيٍ وهو: **فلا تدعوا**، والقاعدة عند الاصوليين: أنّ النكرة إذا سبقها نهيٌ أو نفيٌ فإنّها تعمّ وتشمل كلَّ أحدٍ، فلا تدعو مع الله ملكاً ولا نبياً ولا شجراً ولا حجراً ولا جنّاً ولا جماداً ولا غيرَ ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **"الثالثة: أنّ من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله"**

المسألة الثالثة من هذه المسائل الثلاث متعلقة بأصل عظيم من أصول الدين وهو من حقوق التوحيد ومن المسائل التي وردت فيها النصوص الكثيرة، ألا وهي مسألة الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين، فإنّه من حقق المسألة الأولى فوّحد الله تعالى واتبع رسوله ﷺ وحقق المسألة الثانية ولم يشرك معَه غيرَه لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله.

ومعنى حادّ الله: أي هو في حدّ والله ورسوله في حدّ.

والموالاة: من الولاء وهي هنا: المحبّة والنصرة.

فالمسلم الموحد لا يحبّ الكافر ولا يوادّه بل يبغضه ويعتقد أنّه عدو له.

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ولو كان أقرب قريب".**

أي: نسباً، فإذا كان هذا القريب محادٌ لله ولرسوله فإنّه يجبُ عليك عدم موالاته.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾".

لا تجد: الخطاب للنبي ﷺ وأمته تبع له في ذلك، فلا تجد، أي: لا يقع هذا ولا يكون موجوداً أبداً أن يكون هناك: قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، فلا يمكن أن يجتمع إيمان بالله ورسوله مع موالاة لأعداء الله ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ إلى أن قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

قوله تعالى: **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان.**

أولئك: أي: الذين لا يوالون أعداء الله.

كتب: أي: أثبت في قلوبهم الإيمان ورسّخه.

وأيدهم بروح منه: أي: بقوة منه وبنصر من عنده.

ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ورضي الله عنهم لمّا أغضبوا أعداءه، فكان جزاؤهم أن رضي الله عنهم وهؤلاء هم حزب الله حقّاً وصدقاً لا ادعاءً وزوراً فكانوا أنصاراً لله تعالى لا أنصاراً للشيطان.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذه المسألة خصوصاً أنّه كثر فيها الخلط أمور مهمة نبه عليها العلماء، من بين هذه الأمور أنّ مسألة البراءة من الكفار وعداوتهم قائمة إلى يوم الدين ومع هذا البغض والعداوة فإنّه لا يجب إهمال دعوتهم إلى الإسلام، فإنّ إسلامهم مطلب شرعي يحصل به الخير الكثير، والبراءة منهم لا تقتضي مقاطعتهم في الأمور الدنيوية كالبيع والشراء، فإنّ النبي ﷺ كان يتعامل مع الكفار بيعاً وشراءً، ولا يعني البراءة منهم كذلك عدمَ الإهداءِ لهم فإنّ النبي ﷺ أهدى لهم وتألف قلوبَ من يُرجى إسلامَه منهم كي يتقوى الإسلام بإسلامهم وقَبِل هداياهم وأكل طعامهم المباح.

ومما ينبه إليه كذلك أنّ الوالد الكافر على ولده المسلم أن يبرَّه ويطيعُه في طاعة الله ورسوله ولا يطيعه في الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾

هذه البراءة من الشرك وأهله تكون: بالقلب واللسان والجوارح.

- **بالقلب:** فتبغضهم في قلبك.
- **باللسان:** قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.
- **بالجوارح:** عدم التشبه بهم في ألبستهم ومظاهرهم الخاصة بهم ومشاركتهم أعيادهم.

وعليه فيتلخص لنا من خلال هذه المسألة الأخيرة:

أنّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يقول لنا أنّه لا يستقيم للإنسان إسلام ولو وحّد الله وترك الشرك إلّا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء والبراءة منهم.

والله تعالى أعلى وأعلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الرابع من شرح متن الأصول الثلاثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فالليلة بإذن الله تعالى ننتهي من المقدمة التي قدّم بها الشخ رَحِمَهُ اللَّهُ بين يدي رسالته: **"الأصول الثلاثة"**.

قال شيخ الإسلام محمد بنُ عبدِ الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: **"اعلم أرشدك الله لطاعته أنّ الحنيفية ملّة أبراهيم".**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ **اعلم** سبق معنا وقلنا بأنّها للفت الانتباه وإلى التنبيه إلى أهمية ما سيُقال لك.

وقوله: **أرشدك الله لطاعته:** أي: هداك الله إلى امتثال أمره وترك نهيه، فإنّ الرُّشد هو الاستقامة على طريق الحق، والرُّشد ضد: الغي، قال الله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ دعا لك من قبل بالرحمة والآن يدعوا لك بأن يرشدك الله إلى لطاعته وإذا أرشدك الله لطاعته فقد فزت وأفلحت، وفي هذا تلطف من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مع الطالب.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يدعوك أن تعلم **أنّ الحنيفية هي ملّة إبراهيم** عليه السلام، فما هي الحنيفية؟

الحنيفية: نسبة إلى الحنيف، وهي من الحنف، أي: المائل.

تقول العرب: رجلٌ أحنف، أي: مائلُ القدم، ورجل حنيفٌ، أي: متنسك متعبد.

فالحنيفية هي: الملّة المائلة عن الشرك إلى التوحيد، وهي: الطريق المستقيم الذي يحبّه الله ويرضاه، وهي دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾.

وملّة إبراهيم: دينه وشريعته التي سار عليها، ووصف الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أنّه كان حنيفاً، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾.

فإبراهيم عليه السلام كان مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن المعصية إلى الطاعة وعن البدعة إلى السنة.

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ باتباع ملّة إبراهيم في عدّة مواضع في كتابه منها: قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾.

وقال ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها: **"بعثت بالحنيفية السمحة"**.

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾، وهو أبو الأنبياء فأنّ الأنبياء بعده كلّهم من ذريته عليه السلام، وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به، فما هي طريقة إبرهيم كي نسلكها ونتبعها؟

قال الشيخ رحمه الله: **"أن تعبد الله مخلصاً له الدين"**.

فسّر الشيخ رحمه الله الحنيفية التي هي ملّة ابراهيم عليه السلام وأمر نبيه ﷺ باتباعها: بأن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وأخذ الشيخ رحمه الله هذا التعريف من قول الله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾، فملّة إبراهيم عليه السلام تجمع بين العبادة والإخلاص، فمن عبد الله صلى وصام لكن أشرك مع الله غيره فهذا ليس على ملّة إبراهيم بل هو مشرك بالله العظيم، فملّة إبراهيم عليه السلام مائلة عن الشرك إلى التوحيد.

والعبادة في اللغة هي: الخضوع والتذلل، يُقال: طريق معبد، أي: مذلل بكثرة الوطأ والمشي عليه.

وأمّا في الشرع فنعرفها بالمعنى العام الواسع: بغاية الحبّ مع غاية الذلّ، وهذا تعريف ابن القيم رحمه الله.

قال ابن القيم في نونيته:

وعبادة الرحمن غاية حبّه * مع ذلّ عابده هما قطبان**

وأمّا العبادة بمفهومها الخاص (أي: تفصيل القول فيها) فهي: اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ويكفي طالب العلم المبتدئ هذا التعريف ولا نتوسع عليه في تعريفها كي لا يتشتت ويصعب عليه فهم ذلك، ويبقى تفصيل القول فيها وذكر أقسامها لاحقاً إن شاء الله.

والإخلاص هو: التنقية، تقول: ذهب خالص: أي ذهب صافٍ من كلّ ما يشوبه.

وفي الشرع: أن ينقي الإنسان إرادته وقصده بالعمل من إرادة وقصد غير الله تعالى.

فالإخلاص: أن يعبد الإنسانُ الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، فلا يقصد بعبادته غيرَ الله وثوابَه، فلا يعبدُ معه غيرَه لا ملكاً ولا نبياً، لا ولياً ولا جنياً، لا شجراً ولا حجراً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ومعنى يعبدون: يوحدون".**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: وبذلك، أي: بالحنيفية التي هي عبادة الله مخلصاً له الدين، أمر الله جميع الناس من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، وخلقهم لأجلها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال تعالى: و﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، هذه الآية فيها أول نداء وأول أمر وأول نهي في القرآن كلّه، وهي في بداية سورة البقرة، أول نداء في قوله تعالى: **يا أيها الناس**، وأول أمر في قوله تعالى: **اعبدوا ربكم**، وأول نهي في قوله تعالى: **فلا تجعلوا لله أندادا**، فبماذا كان أولُ أمرٍ؟ كان بالتوحيد، وبماذا كان النهي الأول؟ كان عن الشرك.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ استدل على قوله بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

ففي هذه الآية ذكر الغاية والحكمة من خلق الجنّ والإنس، فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق الجنّ والإنس لعمارة الأرض ولم يخلقهم للهو واللعب فإنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقهم لأمرٍ عظيم وهو عبادته وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإخلاص له في ذلك.

فإنّ العبادة بدون توحيد لله تعالى لا تُسمى عبادة كما أنّ الصلاة بغير طهارة لا تُسمى صلاة وتكون باطلة، فكذلك العبادة من غير توحيد تكون باطلة، لذلك فسّر ابن عباس رضي الله عنهما يعبدون بيوحدون، أي: يوحدوني في العبادة ويخلصوا لي في هذه العبادة ولا يشركوا معي غيري.

ويستفاد من الآية كذلك وجوب الإيمان بوجود الجنّ وأنّهم عالم غيبي، مكلفون مثل الإنسان، للمطيع منهم الثواب وللعاصي منهم العقاب، ومن أنكر وجود الجنّ فقد كذّب القرآن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة".**

التوحيد في اللغة: مصدر من: وحّد يُوّحد توحيداً، إذا جعل الشيء واحداً.

وفي الشرع: إفراد الله ﷻ بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات.

وأنواع التوحيد ثلاثة:

- **توحيد الربوبية:** وهو أن تفرد الله بالخلق والرّزق والتدبير، أي: توّحد الله في أفعاله هو ﷻ.
- **توحيد الألوهية:** وهو توحيد العبادة، فتفرد الله في عبادتك لله ﷻ ولا تشرك به غيره، أي: توّحد الله في أفعالك.
- **توحيد الأسماء والصفات:** إفراده بما سمّى به نفسه ووصف في كتابه أو في سنّة نبيه ﷺ بإثبات ما أثبت ونفي ما نفى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فسّر التوحيد بقوله: إفراد الله بالعبادة، فتعبد الله وحده ولا تشرك به غيره، ففسره رَحِمَهُ اللَّهُ بتوحيد الألوهية ولم يذكر توحيد الربوبية، وذلك لأنّ توحيد الألوهية هو أعظم أنواع التوحيد، وكذلك لأنّ توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة ركّز على توحيد الألوهية (توحيد العبادة)، وهذا النوع الاهتمام به آكد لأنّ أكثر الناس منكرون له، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وهذا الذي ضلّ في المشركون الأوائل، وقد قاتلهم النبي ﷺ مع إقرارهم بتوحيد الربوبية وأنّ الله هو الذي خلقهم وأنّه هو الذي يرزقهم، وهذا النوع من التوحيد (توحيد الربوبية) تُقرّه العقول والفطر، ولو أقرّ رجلٌ بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكنّه يُشرك مع الله غيرَه فيعبدُ غيرَ الله فإنّه كافرٌ مشركٌ ولا ينفعُه إقراره بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فيجب الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة.

ولعظم أمر التوحيد تركزت دعوة النبي ﷺ في مكة على التوحيد، إلى إفراد الله بالعبادة، ولم يُشرع من أركان الإسلام إلّا الصلاة في العام العاشر من البعثة ليلة المعراج، وهذا يبين لك أهمية التوحيد وأنّه أعظم ما أمر الله به.

قال الله تعالى في الآية التي ذكرناها أخيراً في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾، وفي هذه الآية الأمر بعبادته ﷻ وتوحيدِه وعدم الإشراك به.

وكان النبي ﷺ يقول: **"يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"**، وكان يأمر من كان يُرسله إلى الدعوة أن يبدأ بالتوحيد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه".**

الشرك في اللغة: هو الحظ والنصيب.

والشرك في الشرع عرّفه النبي ﷺ بقوله: **"أن تجعل لله نداً وهو خلقك".**

والشرك شركان: أصغر وأكبر.

- **أصغر:** وهو تحت المشيئة وصاحبه يدخل الجنّة.
- **أكبر:** وهذا لا يغفره الله لمن مات عليه وصاحبه مُخلّد في النّار.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عرّف الشرك بقوله: **وهو دعوة غيره معه**، أي: دعاء غير الله مع الله، فإنّ الدعاء كما مرّ معنا هو العبادة وهو ينقسم إلى قسمين: دعاءُ مسألة ودعاءُ عبادة، فالدعاء يشمل العبادة كلّها، فدعوة غيره معه أي: عبادة غيره معه.

هذا الشرك هو أعظم العظائم وأكبر الكبائر وكلّ ذنب عُصي الله به دونَه وأقلُّ منه ويغفرُه الله لمن شاء إلّا الشرك فإنّ من مات عليه لا يغفره الله له ويُخلّد في النّار ولا يَخرج منها أبداً، والشرك هو الظلم العظيم وهو الإثم العظيم والضلال البعيد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: **"أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك"**، قلت: إنّ ذلك لعظيم، ثم ماذا؟ قال: **"أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"**، قلت: ثم ماذا؟ قال: **"أن تزاني حليلة جارك".**

والنبي ﷺ بدأ بالأعظم فالأعظم فالشرك كما ترى أعظم من قتل النفس المحرّمة وأعظم من الزّنى.

ومصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾.

وفي حديث آخر يقول ﷺ: **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"** قلنا: بلى يا رسول الله؟ قال: **"الإشراك بالله"** متفق عليه، وفي صحيح مسلم عن جابر قال ﷺ: **"من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنّة ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النّار".**

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾".

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ استدل على أنّ أعظمَ أمرٍ هو الأمر بالتوحيد وأنّ أعظم نهيٍ هو النهي عن الشرك بقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾، واعبدوا: أمر بعبادة الله وحده، والعبادة قلنا أنّها لا تسمى عبادة إلّا مع التوحيد، ولا تشركوا: نهي عن الشرك بالله.

و شيئا هنا نكرة في سياق النهي، وقلنا فيما سبق أنّ علماء الأصول يقولون: إنّ النّكرة في سياق النهي أو النفي تفيد العموم، فشيئاً هنا عامة، تشمل كلَّ شيءٍ، فلا تُشرك مع الله لا ملكاً ولا نبياً ولا إنساناً ولا صالحاً ولا ولياً ولا قبراً ولا جنّاً ولا شجراً ولا حجراً فهي تشمل كلّ شيء.

ووجه استدلال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية على أنّ أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك كونَ هذه الآيةِ واقعةٌ في آية الحقوق العشرة من سورة النساء، قال الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾، فبدأ الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها بحقّه ثم ذكر بقية الحقوق وفي هذا دليل على أنّ أعظم حقَ هو حقُ الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وذلك بإفراده بالعبادة وعدمَ الإشراكِ به، وكذلك الأمر في آية الوصايا العشر في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾، فبدأ بالتوحيد والنهي عن الشرك.

وكذلك في آيات سورة الإسراء التي ذكر الله فيها ثمانية عشر مسألة بدأها بالتوحيد فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾ فبدأ بالتوحيد والنهي عن ضده وهو الشرك به، ثم سرد باقي الأوامر سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والله عَزَّ وَجَلَّ ما بدأ به إلّا لعظمته ولأهميته، والآيات الدّالة على هذا الأمر كثيرة جداً حتى قيل إنّ القرآن كلّه في التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾.

وكذلك ما مرّ معنا قريباً في الآية التي في بداية سورة البقرة التي فيها أول نداء وأول أمر وأول نهي وهي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾.

فأعظم أمرٍ أمر الله به التوحيد وغيرُه دونَه، وأعظم نهيٍ نهى الله ﷻ عنه الشرك وغيرُه دونّه ولو كان أكبر الكبائر فإنّ الشرك أكبرها وأعظمها على الإطلاق.

وعليه يتلخص لنا مما سبق أنّ الشيخ رحمه الله في هذا الفقرة الأخيرة تطرق إلى بيان أسباب دراسة التوحيد:

ونجملها ونلخصها نحن في نقاط تبين لنا أهمية دراسة علم التوحيد:

- التوحيد دين الحنفاء.
- وهو أعظم ما أمر الله به.
- وندرس التوحيد كي نحذر من الشرك لأنّه أعظم ما نهى اللهُ عنه.
- ولأجل التوحيد أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
- والتوحيد هو سبب لدخول الجنّة ابتداء أو انتهاء (ابتداءً يعني لمن أُدخل الجنّة من غير عقاب، أُدخل الجنّة مباشرة ولم يدخل النّار، وانتهاءً: أي من أدخله الله النّار وهو من أهل التوحيد إلّا أنّه استحق النّار لارتكابه الكبائرَ والآثام، فإنّه يدخل النار إذا مات ولم يتب منها ولم يغفرها له الله لكنّه لا يُخلد فيها وبسبب توحيده يكون مآله الجنّة).
- والتوحيد يعصمك من دخول النار ابتداء أو انتهاء (فبسبب التوحيد قد لا يدخل العبدُ النّار أصلاً وإذا دَخلها فإنّه بسبب التوحيد لا يُخلّد فيها).
- التوحيد سبب لتكفير الذنوب
- التوحيد سبب لقبول باقي الأعمال، فإن المشرك لا يقبل الله منه أعماله التي كان يتقرب بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾.
- التوحيد سبب لشفاعة النبي ﷺ في الإنسان الموّحد.
- وهو سبب لحصول الأمن والهداية والطمأنينة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾، والظلم المراد به هنا الشرك ودليل ذلك: أنّه لمّا نزلت هذه الآية اهتم لها أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله: ومن منا لم يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: "إنّه ليس الذي تذهبون إليه، وإنّما المراد بالظلم الشرك، ألم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾.

وبهذا نكون قد انتهينا من المقدمة التي قدّم بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأقسامها الثلاثة وندخل في بيان هذه الأصول الثلاثة في الدرس القادم بإذن الله تعالى.

نسأل الله التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الخامس من مجالس شرح الأصول الثلاثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، أمّا بعد:

فهذا هو المجلس الخامسُ من مجالس شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام، الإمام المجدد: محمدِ بنِ عبدِ الوهاب رحمة الله عليه، كنا قد انتهينا في آخر حصة من المقدمة التي قدّم بها الشيخ رحمه الله وفي هذا المجلس سيبدأ الشيخ رحمه الله بالمقصود.

قال الشيخ رحمه الله: **"فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجبّ على الإنسان معرفتها".**

الأصول: جمع أصل، والأصل ما يبنى عليه غيره، ومنه أصل الشجرة وهو ما يتفرع منه الأغصان، وهذه الأصول الثلاثة بُني عليه دين الإسلام بالكامل.

قال رحمه الله: **"فقل: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيه محمداً ﷺ".**

سبق معنا في المقدمة الأولى التي قدّم بها الشيخ رحمه الله عند ذكرنا للمسائل الأربع الواجبِ تعلُمها والمذكورة في سورة العصر، وذكرنا أنّ أول هذه المسائل **العلم** وقلنا في العلم هو: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيه محمداً ﷺ، وهي هذه الأصول الثلاثة التي سيذكرها المؤلف الآن، فالأصل الأول من هذه الأصول هو: معرفة العبد ربّه، والأصل الثاني هو: معرفة دين الإسلام، والأصل الثالث هو: معرفة النبي محمدٍ ﷺ، ذكرها هناك مجملة والآن أوان التفصيل فيها، وذكرنا هناك في الدرس الثاني أنّ معرفة العبد ربّه تكون بالأدلة العقلية والنقلية وكذلك معرفة النبي ﷺ تكون بالأدلة العقلية والنقلية، وأمّا معرفة دين الإسلام فلاتكون إلّا بالأدلة النقلية، فلا مجال للعقل في معرفة دين الإسلام، هذه الأصول الثلاثة كما قلنا هي باختصار أسئلة القبر الثلاثة: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقد ورد ذكر هذه الأسئلة في حديث عند أبي داود وأصله عند مسلم، وهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، نورده نحن على طوله لأنّه هو أصل هذه الرسالة التي ألّفها الشيخ محمدٌ رحمه الله.

فعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ (أي: ولم يحفروا اللحد بعد) فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، (أي: جلسوا ينتظرون إتمام الحفر في هدوء وهم سكوت وفي سكون)، وَفِي يَدِهِ (أي: في يد النبي ﷺ) عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، (أي: النبيُ ﷺ)، فَقَالَ: **"اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"**، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، (وفي هذا إثبات لعذاب القبر)، ثُمَّ قَالَ:

"إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ (هذه نفس العبد المؤمن، جعلنا الله من عباده المؤمنين)، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ (أي: رائحة طيبة)، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي مكانه فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، (وهذا هو الشاهد من الحديث) فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُك (يعني: كيف علمت هذا؟)، فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ (وفي هذا إثباتٌ لتنعم أهلّ الجنّة في قبورهم)، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ، ربّ أقم الساعة، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ (المسوح: جمع مِسح وهو: الثوب الخشن) فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ ﷻ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ (كأنّك تضع شوكاً في صوف ثم تنزع هذا الشوك)، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ

سَحِيقٍ ﴾، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ هَذَا يَوْمُك الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ".

هذا الحديث هو أصل هذه الأصول الثلاثة، فمن وفقه الله ﷻ ونجح في الإجابة فقد فاز، ومن أخفق فذلك هو الخسران المبين، فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية فيجب علينا أن نتعلمها وأن نعتقدها، فلا بدّ من تعلمها والعملِ بها ودعوة الناس إلى ذلك، والصبرِ على ذلك كلّه، عسى الله أن يُثبتنا عند السؤال في قبورنا، فأنت ترى عظيم أهميتها، لذلك ركّز عليها الشيخ ﷺ وأفردها بالتأليف ووضحها لنا فجزاه الله عنّا وعن المسلمين خيراً.

قال الشيخ ﷺ: "فإذا قيل لك: من ربّك؟ فقل: ربّي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه".

الآن المؤلف ﷺ دخل في تفصيل القول في هذه الأصول بعد أن أوردها مجملة.

فإذا قيل لك يا عبد الله؟ من ربّك (وهذا السؤال وارد عليك في الدنيا وفي الآخرة)، فقل معتقداً جازماً بلا شكٍّ: ربّي الله.

وتربية الله لعبادة معناها: رعايته لهم، فقد تكفل الله بخلقهم ورزقهم وسائر أمورهم، وتربية الله نوعان:

تربية عامة: تشمل كلّ أحدٍ، المسلمَ والكافرَ البرّ والفاجرَ، تشمل الإنسانَ والحيوانَ والنباتَ وغيرَ ذلك، فإنّ الله ﷻ تكفل لكلّ شيء بخلقه ورزقه وتدبير أمره، وهذه تربية دنيوية، فإنّ كلّ مخلوقٍ نِعَمُ الله إليه واصلة، وهذا دليل عقلي للاستدلال بأنّ الله هو ربّي.

تربية خاصة: هذه تشمل عباد الله المؤمنين وهي تربية دينية، تربيتهم بالإيمان والعمل الصالح، فهو الذي وفقهم ويسر الهدى لهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

وقد أشار الله إلى نوعي التربية العامة والخاصة بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾، ففي قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ إشارة إلى التربية العامة الشاملة، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ إشارة إلى التربية الخاصة لمن أراد الله هدايتهم إلى طريق الخير.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وهو معبودي ليس لي معبود سواه".**

إقرارك بالربوبية لا يكفي، لا بدّ من الاعتراف بالألوهية لله، فلا يكفي أن تقول: **ربّي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه**، لا بد كذلك أن تضيف إليها: **وهو معبودي ليس لي معبود سواه**، أي: عبادتي لله وحده لا لغيره، وهذا هو توحيد الألوهية الذي هو نفسُه توحيد العبادة.

فهذا الرّب الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه هو المستحق للعبادة دون ما سواه، لا من الملائكة ولا من الرسل، لا من الاشجار ولا من الأحجار، وهذا هو الفرق بين الموّحد والمشرك.

فالموّحد: يُوّحد الله عَزَّوَجَلَّ بربوبيته ويُقرّ ويُوّحد الله بالعبادة، فلا يعبدُ مع الله أحداً، ولا يُشرك معه غيرَه.

والمشرك: يُوّحد الله بربوبيته لكن في عبادته يعبد مع الله غيرَه، فيعبدُ الأشجار والأحجار والقبور والصالحين.

وهذا لا ينفعه إقراره بالربوبية لله وحدَه ولا يدخله ذلك في الإسلام كما لم ينفع مشركي قريش ولم يدخلهم في الإسلام وكانوا من أهل النّار خالدين فيها أبداً، نسأل الله السلامة والعافية.

فالموّحد ليس له معبود سوى الله عَزَّوَجَلَّ لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ، لا شجرٌ ولا حجرٌ.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر توحيد الربوبية لإلزام الناس بتوحيد الألوهية، فمن أقرّ لله بالربوبية وأنّ الله الخالق الرازق المدبر فعقلاً لا يحقّ له أن يصرف العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾".**

بعد أن ساق المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الدليل العقلي أتى بالدليل النقلي وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

الحمد: هو الثناء على المحمود مع محبته وإجلاله.

الـ : في **الحمد**: هي للاستغراق، أي: جميع المحامد لله، فهو المستحق للحمد الكامل.

والشاهد من الآية قوله تعالى: **ربّ العالمين**، العالمين: جمع عَالَم، والله ربّ كلّ هذه العوالم، أي: مربيهم بنعمه (فهو خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وكلّ ما سوى الله عالمٌ وأنا واحدٌ من ذلك العالم".**

العالم: كلّ من سوى الله سمُّوا عالماً لأنّهم عَلَمٌ على خالقهم ومالكهم ومدبر أمورهم، فأنا وأنت واحد من عالم الإنس، والسماواتُ عالمٌ، والأرضُ عالمٌ، والجنُ عالمٌ والملائكةُ عالمٌ، والأشجارُ عالمٌ، والحيواناتُ عالمٌ، عوالم في البّر والبحر، وفي عالم السماء لا يعلمها إلّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي هو ربّ كلّ هذه العوالم، ربُّ العالمين، فكلّ من سوى الله عالمٌ وهذه العوالم كلّها ربّاها الله عَزَّوَجَلَّ بنعمه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"فإذا قيل لك: بم عرفت ربّك، فقل: بآياته ومخلوقاته".**

الآن يريد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يأتي بالدليل، ما دليلك على أنّ الله ربّ العالمين؟

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يحرص كثيراً على ذكر الدليل، وسيذكر الأدلة التي بها عرفنا ربّنا، فقال عرفنا ربّنا بآياته ومخلوقاته.

والآيات: جمع آية، وهي العلامة على الشيء التي تدلّ عليه وتبينه، وآيات الله على نوعين: كونية وشرعية.

الآيات الكونية: المخلوقات كالليل والنهار والشمس والقمر.

الآيات الشرعية: الوحي الذي أنزله الله على رسله.

المؤلف قال: بآياته ومخلوقاته مع أنّ الآيات تشمل المخلوقات فلماذا أضاف قوله ومخلوقاته.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قصد بقوله: عرفنا ربّنا بآياته، أي: عرفناه بآياته الشرعية والكونية جميعاً لأنّه قال بعدها: **ومن آياته: الليل والنّهار والشمس والقمر** (وهذه آيات كونية)، ثم قال: ومخلوقاته (مع أنّ هذه المذكورات مخلوقات) فيكون هذا من باب عطف الخاص على العام، لأنّ كلّ مخلوقٍ آية، وليس كلّ آيةٍ مخلوقاً، فالآيات أعمّ من المخلوقات، ومن فوائد هذا الأسلوب التنبيه على منزلة ما سيذكر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومن آياته: الليل والنّهار والشمس والقمر".**

سميت آيات: الليل والنهار والشمس والقمر لأنّها دلالات على خالقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال أبو العتاهية:

فيا عجبا كيف يُعصى الإله * أم كيف يجحده الجاحد**

وفي كـلّ شـــيءٍ له آيـــة * تدلّ علـــى أنّـــه واحد**

الليل بظلامه وسكونه دليل على عظيم خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، النّهار بضوءه دليل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تعاقب الليل والنهار بانتظام لمصلحة العباد دليل على وجود الله وتسيير الله لذلك، وهذه الشمس الكوكب العظيم، السراج الوهاج، وهذا القمر الكوكب المنير، وبهذه الآيات العظيمة مصالح كثيرة للناس وللأشجار وللثمار وللبحار، في نظام دقيق لا يتخلف أحد عن الآخر، وكذلك لمصالح العباد في تحديد المواقيت والآجال (الحساب الشمسي والحساب القمري) فيهما مصالح عظيمة للناس.

لذلك استدل الأعرابي كما مرّ معنا على وجود الله بآيات الله الكونية.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما".**

سبعَ سماوات بعضها فوق بعض (السماء الدنيا ثم التي تليها) حتى السماء السابعة وفوق الجميع عرش الرحمن ﷻ، وكذلك الأرضون سبعٌ طباقٌ وكلّ ما فيهن وما بينهما من مخلوقات، دواب وجبال وأشجار وأحجار وبحار آيات من آيات الله ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾".

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يسوق الدليل على أنّ هذه الأربع من آيات الله، أي: من علامات ربوبيته ﷻ واستحقاقه العبادة دون ما سواه، وخصص هذه الأربع بالذكر لعظمها، الشمس والقمر والليل والنهار، وهذه من أبرز العلامات المشاهدة التي يراها الناس، يأتي النهار بنوره ويذهب الليل بظلامه، يطول النّهار ويقصر الليل والعكس في نظام بديع متكامل يدلّ على أنّ له مدبرٌ حكيم، فهذه المخلوقات مع عظمها لا تسجدوا لها (أي: لا تعبدوها).

وفي قوله: **لا تسجدوا** إشارة إلى أنّ السجود من أعظم أنواع العبادة، والسجود وضع الجبهة على الأرض خضوعاً وتذللاً للمعبود، والرسول ﷺ يقول: **"أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد"** أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لأنّ وجهك وهو أعزّ ما تملك وضعته على الأرض إجلالاً وتعظيماً لله ﷻ.

فهذه الآيات مخلوقةٌ مثلُكم وخالقها الله ﷻ، فلا تعبدوها ولكن اعبدوا خالقها وهو الله ﷻ، وقد وُجد من عبد هذه المخلوقات نسأل الله السلامة والعافية..

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾".

فيه دليل على أنّ الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض.

قوله تعالى: **إنّ ربّكم**، أي: خالقكم ومعبودكم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذه المخلوقات العظيمة خلقها الله في ستة أيام مع أنّ الله ﷻ قادر على خلقها في لحظة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، لكنّه خلقها في ستة أيام لحكمة يعلمها هو ﷻ، وفي هذا تعليم من الله لعباده الأناة وعدم العجلة.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استوى، أي: ارتفع وعلا، وهذا العلو والارتفاع خاص بالله ﷻ كما يليق بعظمته وجلاله، والعرش أعظم المخلوقات وأعلاها تحمله الملائكة وهو سرير الملك.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: يغطي أحدهما الآخر، فيتعاقب الليل والنّهار.

﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: مباشرة دون تأخر، إذا ذهب النّهار جاء الليل بعده دون تأخر، وإذا ذهب الليل جاء النّهار بلا تأخر.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي: مذللات لمصالح العباد بأمره.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾: له الخلق وحده ﷻ، إذا أراده فلا يشاركه فيه أحد.

والأمر: هو كلامه ﷻ وينقسم إلى قسمين:

- **أمر كوني:** وهو قضاؤه وقدره في الكون، يأمر المخلوقات فتطيعه ﷻ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.
- أمّا **الأمر شرعي:** فهو وحيه المنزل الذي يأمر به عباده بعبادته، ويدخل فيه الأوامر والنواهي التي في القرآن والسّنة.

فإذا كان لله الخلق وله الأمر فما بقي لغيره ﷻ؟ لم يبق شيء لغيره.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾: أي: تعاظم الله ربّ العالمين.

ففي الآية إلزام بتوحيد الألوهية (توحيد العبادة) لإقرارهم واعترافهم بتوحيد الربوبية.

ثم قال رحمه الله: **"والرّب هو المعبود".**

أي: المستحق للعبادة، ولا يستحقها غيرُه، فليس كلُّ من عُبد ربٌّ.

فإذا أقررت يا عبد الله بأنّ الرّب هو الله يلزمك أن تُقرّ بأنّه هو المعبود، وأنّ غيرَه لا يستحق من العبادة شيئاً.

قال رحمه الله: **"والدليل".** أي: والدليل على أنّ الرّب هو المعبود.

"قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾".

هذه الآية كما مرّ معنا هي في بداية سورة البقرة وقلنا بأنّ فيها أولُ نداء وأولُ أمر وهو أمرٌ بالتوحيد، وأولُ نهي وهو نهي عن الشرك.

قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: نداء للجميع مؤمنين وكفار ومنافقين، لأنّ الله تعالى قبل هذه الآية قسّم الناس إلى ثلاثة أصناف:

- **مؤمنون**: وهؤلاء الذين يؤمنون بالغيب ويؤمنون باليوم الآخر ووصفهم الله بأنّهم مفلحون.
- **وكفار**: أظهروا الكفر والعناد.
- **ومنافقون**: ليسوا مع الكفار وليسوا مع المؤمنين، فهم مؤمنون في الظاهر كفار في الباطن وهم شرٌّ من الكفار المجاهرين بكفرهم.

فبعد أن انتهى ﷻ من ذكر هذه الأصناف الثلاثة وذكر بعض أوصافهم، جاء النداء بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وهذا النداء يشمل ماسبق: مؤمنين وكفار ومنافقين.

قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: فعل أمر، أي: أخلصوا له العبادة لأنّه ربُّكم.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: لأجل أنّه خلقكم وخلق من قبلكم فيلزم أن نعبدَه وحدَه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: لكي تتقون عذابي وتتقون النّار.

ثم واصل الاستدلال على ربوبيته وعبوديته ليزمهم بعبادته وحدَه.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾: أي: بساطاً.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾: أي: سقفا.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾: أي: من العلّو، من السحاب.

﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾: أي: لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم وخلق من قبلكم والذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل لكم من السماء ماءً، لا تجعلوا له أنداداً (الأنداد: جمع ند، وهو: المثيل والنظير) فلا تجعلوا لله أنداداً تعبدونها مع الله ﷻ.

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أي: تعلمون أنّه لا ندّ له، وأنّ بيده الخلق والرّزق والتدبير.

ثم قال رحمه الله: **"قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"".**

ابن كثير هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، الحافظ المشهور، صاحب التفسير وتلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة للهجرة (٧٧٤ هـ).

أمّا كلامه رحمه الله فهو واضحٌ وفيه إلزام الناس بتوحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فمن أقرّ بتوحيد الربوبية لزمه الاقرار بتوحيد الألوهية ولا بدّ.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام والإيمان والإحسان"**

لمّا بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ الله هو ربُّنا وربُّ جميع العالمين، وبيّن أنّ الرّب هو المعبودُ، وأنّ الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، واستدل على ذلك بآية البقرة، وبيّن كذلك أنّ الله ﷻ لم يخلقنا سدًى ولم يتركنا هملاً بل خلقنا لغايةٍ جليلة وأمرٍ عظيم، ألا وهو عبادته ﷻ، والله تعالى أمرنا بعبادته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وأمرنا كذلك أن تكون هذه العبادةَ له وحدَه لا شريك لأحدٍ معهُ فيها، بعد هذا كلِّه ناسب أن يبين لنا أنواع هذه العبادة التي تجب لله وحدَه ولا يجوز صرفُها لغيره والإشراك بالله فيها شيئاً.

وسبق أن عرّفنا العبادة وقلنا هي في: اللغة: الخضوع والتذلل، يُقال: طريقٌ معبدٌ، أي: مذلل.

وأمّا في الشرع: فهي كما عرّفها شيخ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.**

قوله: اسم جامع: أي: يجمع أشياء كثيرة، هذه الأشياء الكثيرة هي: كلُّ ما يحبّه الله ويرضاه، فإذا أمرك الله ﷻ بشيءٍ فاعلم أنّ الله يحبّه ويرضاه وإذا نهاك عن شيء فاعلم أنّ الله ﷻ يحبّ منك أن لا تقترب منه.

والعبادات حسب التعريف أقوال وأعمال، فالعبادات إمّا أن تكون قولية وإمّا أن تكون عملية.

هذه العبادات القولية أو العملية إمّا أن تكون ظاهرةً (أي: ظاهرة على جوارح العبد أي: على أعضائه) وإمّا أن تكون باطنةً (أي: بالقلب)، قد يكون القول ظاهراً وقد يكون القول باطناً، وقد يكون العمل ظاهراً وقد يكون العمل باطناً.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله ﷻ به مثل: الذكر والتلاوة، قول القلب هو نيته وقصده، وكذلك بالنسبة للعمل: عمل القلب كالتوكل، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام وغيرها.

وعبودية الناس لربّ العالمين تنقسم إلى قسمين:

- **عبودية عامة:** تشمل الجميع، كافرهم ومسلمهم، برّهم وفاجرهم، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾، وهذه عبودية قهرٍ وتصرفٍ وتذللٍ.
- **عبودية خاصة:** وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾، وهذه عبودية الطاعة والتقرب إلى الله بالتوحيد.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أعطانا ضابطاً للعبادة وهو: كلّ ما أمر الله به، لأنّه قال: **"وأنواع العبادة التي أمر الله بها"**، فالعبادة تطلق على جميع ما أمر الله به (على وجه اللزوم أو الاستحباب). وعلى جميع ما نهى الله عنه (على وجه التحريم أو الكراهة)، وعليه فالعبادة هي: الأوامر والنواهي، ومن شروط قبول هذه العبادة:

- **الإخلاص:** أن تكون خالصة لله وحده لا شريك له فيها.
- **والمتابعة:** أن تكون في هذه العبادة متبعاً للنبي ﷺ.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جعل الإسلام والإيمان والإحسان من أنواع العبادة مع أنّها مراتب ومجموعات تَضمّ وتَرجع إليها العبادات الأخرى، هذه الثلاث هي الدين كلّه، وهي مذكورة في حديث جبريل الطويل الذي سيأتي إن شاء الله في موضعه، قال فيه النبي ﷺ في آخره: **"هذا جبريل أتاكم يعلمُكم دينَكم"**، فسمّى هذه الثلاث ديناً.

ونذكرها على وجه الإيجاز وسيأتي تفصيلها إن شاء الله.

سبق وأن عرّفنا **الإسلام:** وقلنا هو في اللغة: الاستسلام.

وفي الشرع: هو الاستسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطاعة والبراءةُ من الشرك وأهلِه.

وأركانه خمسة: شهادةُ أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان وحجُّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

أمّا بالنسبة **للإيمان:** ففي اللغة هو: التصديق.

وفي الشرع: هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بمعصية الرحمن.

وأركانه ستة: أن تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقدرِ خيرِه وشرّه.

وأمّا **الإحسان:** فهو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وهذا أعلى مقامات وأنواع العبادة.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومنه الدعاء والخوف والرّجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذّبح والنّذر وغيرُ ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلُّها"**

ذكر المؤلف هنا جملة من العبادات (عددها أربعة عشراً نوعاً من العبادة عدا الإسلام والإيمان والإحسان) وذَكرها هنا إجمالاً وسيبدأ في تفصيلها مع ذكر أدلتها، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أورد هذه الأمثلة للعبادة من باب التمثيل لا الحصر، لأنّ العبادات كثيرة وكثيرة جداً، لكنّ الناس غالباً ما يقعون في الشرك بالله تعالى في هذه المذكورات، وبدأ بالدعاء لأنّ الإشراك فيه أكثر، والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أن يشمل بالتمثيل أقسام العبادات كلِّها، فبعضُ هذه العبادات التي ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ أقوال وبعضها أعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، وسيأتي تفصيلها بإذن الله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ **".**

المساجد مرّ معنا وقلنا بأنّها تُطلق ويُراد بها هذه المساجد المعدّة للصلاة (الجوامع)، ويُراد بها كذلك أعضاء السجود السبعة وتطلق على الأرض كلّها، هذه المساجد مِلكٌ لله تعالى، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (لا دعاءَ عبادة ولا دعاءَ مسألةٍ)، فإذا حُمل معنى الدعاء في الآية على دعاء العبادة فيكون معنى الآية: فلا تعبدوا مع الله أحداً، وإذا حُمل على دعاء المسألة فيكون معنى الآية: فلا تسألوا على وجه التعبد أحداً، والمعنيين مُحتَمَلين لأنّه لا يوجد عندنا قرينة نُرجح بها أحد المعنيين عن الآخر فلو حملناه على دعاء المسألة فقط لكان تحكماً بغير دليل.

ووجه الدلالة من الآية على أنّ العبادة حقٌ خالص لله تعالى ظاهر في النهي الوارد في الآية ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فأحداً هنا نكرة في سياق النهي الذي هو: **فلا تدعوا**، وقلنا سابقاً بأنّ النكرة في سياق النهي تفيد العموم، فهي تشمل كلّ أحدٍ ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً، والنهي عن الشيء أمرٌ بضده وهو: اعبدوا الله وحده وأفردوه بالعبادة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر".**

فإنّ من صرف، أي: توجه بأيّ نوع من أنواع من هذه العبادة شيئاً ولو قلَّ لغير الله (أيّاً كان هذه المُشرَك به) فهو مشرِكٌ كافرٌ لأنّه عبد غير الله مع الله، والله ﷻ أمرنا بعبادته وأمرنا في هذه العبادة أن تكون خالصةً له وحدَه لا شريك له فيها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾**".**

ومن يدع: أي: من يعبد ومن يسأل غير الله مع الله (فهي تشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة).

لا برهان له: هذه صفة كاشفة مبينة لواقع من يدعُ مع الله إلها آخر.

وفي هذه الآية حكم الله على من يدع مع الله إلها آخر بالكفر.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جاء بهذه الآية وبما قبلها ليستدل على أنّ كلّ من جعل نصيباً من العبادة لغير الله فهو مشرك كافر، والعلم عند الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلامُ الله وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكلَّ ضلالة في النَّار.

شيخ الإسلام العالم الإمام محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عالمٌ رباني ومجدد للدين الإسلامي، ربّى طلاب العلم على صغار العلم قبل كباره وأنت ترى ذلك جلياً في هذه الرسالة التي نحن نسير معكم فيها، وهو يتدرج بنا ويصعد بنا درجة درجة خطوة خطوة، وهذا يفيد طالب العلم كثيراً فإنّه كما سبق فإنّ العلم لا يُرام جملةً واحدةً وإنّما بالحديث والحديثين ومع طول الزمن وإخلاص النية والقصد يُحصّل المرء علماً كثيراً ومتيناً بإذن الله تعالى، فجاء أولاً بالمسائل الأربع التي في سورة العصر والتي يجب تعلُمها وجنس الإنسان كلّه في خسران إلّا من اتصف بهذه الصفات الأربع وذكر أنّ أُولى هذه المسائل: العلم، والعلم هو معرفة العبد ربّه ودينه ونبيه محمداً ﷺ، ثم بدأ بمعرفة العبد ربّه وهذا هو الأصل الأول من هذه الأصول الثلاثة التي قلنا أنّها أسئلة القبر، لأنّ الإنسان إذا وُضع في قبره يأتيه ملكان فيسألانه عن الرّب وعن الدّين وعن الرّسول وحينها: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، وذَكر أنّ معرفة الله تكون بآياته ومخلوقاته وأنّه ربّ العالمين، أي: خالقهم ومالكم والمتصرف فيهم، هذا الخالق لكلّ هذه الأشياء هو المستحق للعبادة، واستدلّ على ذلك بآية البقرة، هذه العبادة التي خُلق لأجلّها الجنّ والإنس يجب أن تكون لله وحدَه لا شريك له فيها، ناسب بعد كلّ هذه المراحل والدرجات أن يُبين لنا أنواع العبادة التي تجب لله وحدَه ولا يجوز صرفُها لغيره، ذكرها مجملة كما مرّ معنا في آخر الدرس الماضي والآن سيذكرها واحدة واحدة بأدلتها، وشيخ الإسلام محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ رَحِمَهُ اللَّهُ نال ما نال من الثناء والمدح والدعاء ممن عاصره وعرف دعوته وممن جاء من بعده إلّا لأنّه يربط أقواله بالدليل، فلا يقول قولاً ولا يتكلم من غير دليل، والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ استعمل طريقتين في استدلاله بالأدلة على كون هذه المذكورات عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

الطريقة الأولى: طريقة عامة: الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يستدل على أنّ هذه المذكورات عبادات فإذا ثبتت بالدليل كونُها عبادةً حينئذ يَستدل لها بالأدلة العامة التي مرّت معنا في آخر الدرس الماضي أنّه لا يجوز صرف أيُّ نوعٍ من العبادات لغير الله، ومن صرفها لغير الله فهو: مشركٌ كافرٌ، ومن تلكم الإدلة التي استدل بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على

أنّه لا يجوز صرف العبادة لغير الله كما مرّ معنا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾".

الطريقة الثانية: طريقة خاصة: وهذه ستمر معنا أثناء سرد الأدلة ونرى أنّ المؤلف رحمه الله جاء بأدلة، هذه الأدلة فيها أنّ صرف هذا النوع من العبادة في حدّ ذاته دون غيره من العبادات صرفه لغير الله شركٌ.

وهذا من الشيخ رحمه الله تنويع في طريقة الاستدلال، فقد يُنازع أحدهم في دليلٍ ويتنكر له، فإذا أحاطت به الأدلة من كلّ جانب عسى الله أن يشرح صدره ويقبل الحقّ، وهذا الذين نرجوه والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

قال الشيخ رحمه الله: **"وفي الحديث: "الدعاء مخّ العبادة"، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾".**

بدأ الشيخ رحمه الله بالدعاء لمنزلة الدعاء من العبادة، ولأنّ الشرك فيه أكثرُ من غيره.

استدل الشيخ رحمه الله بحديث: **"الدعاء مخّ العبادة"** وهو حديث ضعيف، لكنّ معناه هو معنى الحديث الصحيح، حديث النعمان بن بشير الذي رواه أبو داوود والترمذي وجماعة، وهو قوله ﷺ: **"الدعاء هو العبادة"**، وهذا دليل على أنّ الدعاء عبادة وهو يُبين لك منزلة الدعاء من العبادة، فالدعاء من العبادة كمنزلة عرفة في الحجّ، قال ﷺ: **"الحجّ عرفة"**. فإنّ الوقوف بعرفة أعظم أركان الحجّ ولا يعني هذا أنّ الحجّ كلّه هو عرفة، فهنا كذلك ليست العبادة محصورةً في الدعاء لكن الدعاء أعظم أنواعها.

واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، وفي هذه الآية أمور:

- **الأمر الأول:** أمرَ الله عبادَه بدعائه.
- **ثاني الأمور:** وعدهم على الدعاء بقسميه (دعاء المسألة بالإجابة بتلبية الطلب، وعلى دعاء العبادة بالإجابة بقبول هذه العبادة والثواب عليها).
- **أمر آخر:** سمّى الدعاء عبادة في الآية، لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾، وإنّما أُطلقت العبادة على الدعاء لمنزلة الدعاء من العبادة كما تقدم في الحديث.

والله عزّ وجلّ غني عنا وعن دعائنا ونحن بحاجة إلى دعاء الله ومع ذلك فالله عزّ وجلّ سمى تارك الدعاء مستكبراً.

الله يغضب إن تركت سؤاله ** وبُنَي آدم حين يُسأل يغضب**

ثم هذا الدعاء أقسام: ومرّ معنا هذا كثيراً، وهو ينقسم إلى دعاء عبادة ودعاء مسألة.

دعاء العبادة: بأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، كالصلاة والصيام وغيرهما.

هذا النوع من الدعاء صرفه لغير الله شرك أكبر.

دعاء المسألة: وهو دعاء الطلب (طلب ما ينفع الداعي من جلب نفعٍ أو دفع ضُرٍ) وينقسم إلى قسمين:

- فيما لا يقدر عليه إلّا الله كإنزال المطر وطلب الولد وهذا صرفه لغير الله شرك أكبر.
- فيما يقدر عليه المخلوق: كأن تقول لأحدهم أطعمني، وهذا جائز لكن بشرط أن يكون: حيًّا حاضراً قادراً.

ثم الناس في الدعاء أقسام:

- فمنهم من لا يدعو الله أصلاً وهذا مستكبر عن عبادة الله كما في الآية.
- ومنهم من يدعوا الله ويدعوا غيرَه معه وهذا مشرك بالله العظيم.
- ومنهم من يدعوا الله وحده وهذا هو الموّحد.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الخوف قوله تعالى:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾".

الخوف: هو الذعر، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاكٌ أو ضررٌ، والخوف محلّهُ القلب لكن قد يظهر أثره على الجوارح.

والآية التي استدل بها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نزلت بعد غزوة أُحدٍ كما قال ذلك غير واحدٍ من المفسرين، حينما قيل: إنّ قريشا تُعدّ لكم العدّة لتستأصل شأفتكم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: نهي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده المؤمنين عن الخوف من غيره، وفي قوله: ﴿وَخَافُونِ﴾ أمرٌ بالتعبد له بالخوف (وقلنا سابقا بأنّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عرّف العبادة بما أمر الله به، وجميع ما أمر الله به شرعاً فإنّه يُحبّه ويرضاه، فإنّكم تذكرون قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **وأنواع العبادة التي أمر الله بها**، فجعل العبادة ما أمر الله به، ومرّ معنا كذلك تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ للعبادة وأنّه عرّفها بقوله: **اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**، والخوف من الله أمر الله به، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يأمر بأمر شرعي إلّا وهو يحبّه ويرضاه، وهذا يدلّ على أنّ الخوف منه يحبّه الله ويرضاه، وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادة، وإذا ثبت أنّ الخوف من الله عبادة فلك أن تستدل بالأدلة العامة التي تخبر بأنّ من صرف

العبادة لغير الله فهو مشرك كافر **(الطريقة العامة كما قلنا)**، ولك أن تستدل كذلك بالآية التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بدون الرجوع إلى الأدلة العامة لأنّ الله تعالى جعل الخوف منه شرطاً لحصول الإيمان، فلا إيمان بلا خوف منه ﷻ، قال في الآية: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، **وهذه هي الطريقة الخاصة** للاستدلال على أنّه لا يجوز صرف عبادة الخوف من الله لغير الله، وهذا تنويع في الاستدلال كما مرّ.

هذا الخوف ينقسم إلى:

خوف واجب: وهو المذكور في الآية وهو خوف العبادة والتعظيم وخوف السّر وهذا الخوف خاصٌ بالله تعالى، وهذا النوع صرفه لغير الله شرك أكبر، وهو شرط في الإيمان ولا إيمان بدونه كما سبق.

فنحن نتعبد لله ﷻ بالخوف منه، فلا نخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، كالذين يخافون من القبور ومن الأضرحة أن تمَسَّهم بسوء أو أن تُنزل بهم البلاء، فيذهبون يعبدونها ويعظمونها، ويتقربون إليها بصنوف العبادة، فيقدمون لهم الذبائح والنذور والأطعمة وغير ذلك كإلقاء النقود على أضرحتهم لدفع ضررها خوفاً منها وهذا شرك أكبر، فمن فعل ذلك صار مشركاً وإن صلى وصام وإن زعم بأنّه مسلم، ومن الصور كذلك ما يحدث من كثير من المشركين الجهال فتقول له احلف بالله فيحلف كاذباً ولا يُبالي لكن إن قلت له احلف بالولي الذي يعظمه يُحجم ويُخاف ولا يَحلف، فخوفه من الولي (خوف السّر أن يصيبه هذا الولي بشيء) أكبر من خوفه من الله ربّ العالمين.

هذا الخوف الواجب الذي لا يجوز صرفه لغير الله قد يكون محموداً وقد يكون مُحرّماً.

فالمحمود منه: ما حمل صاحبه على فعل الطاعة وترك المعصية.

والمحرّم: ما حمل صاحبه على القنوط واليأس من رحمة الله تعالى فيبقى في المعصية ولا يتوب منها، وهذا الخوف المحرّم خوف من الله لكنه خوف زائد عن حدّه.

ويلحق بالخوف المحرّم كذلكَ الخوف من غير الله الذي يؤدي لترك واجب أو فعل مُحرّم، كأن يخاف من الخلق أن يعيبوه في أداء واجب فيتركه مجاراة لهم فهذا محرّم غير جائز.

وهناك خوف مباح: وهو الخوف الطبيعي كخوف الإنسان من النّار ومن السباع.

قال الله تعالى واصفاً حال موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي: من البلد، فموسى عليه السلام حصل معه هذا النوع من الخوف الطبيعي.

قال رحمه الله: **"ودليل الرّجاء قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾"

الرجاء: هو الطمع في أمر محبوب، والرجاء من العبادات القلبية، وهو قسمان:

- **قسم مباح:** وهو أن ترجوا من المخلوق شيئاً يقدرعليه، أرجوك أن تفعل، وبمقدوره فعل هذا الشيء الذي رجوته منه، وهذا ليس من العبادة وليس المقصود معنا.
- **قسم ممنوع: وهو** رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض، وهذا رجاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، وهو المقصود.

وعلى العموم فالرجاءُ المتضمنُ للذلِّ والخضوع لا يكون إلّا لله ﷻ وصرفه لغيره شرك.

المؤلف رحمه الله استدل بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

والمعنى: من كان يطمع في ثواب الله ﷻ ورؤيته عَياناً يوم القيامة وفي الجنّة فليأت بالسبب الذي يُحقق رجاءه وهو العمل الصالح بركنيه: الإخلاص لله تعالى والمتابعة للنبي ﷺ، و الحذر من الشرك كبيره وصغيره، فامتدح الله في هذه الآية من رجى الله، وفي هذا دليل على أنّ الرجاء عبادة.

والإنسان في سيره إلى الله يجمع بين الخوف والرجاء فهما للإنسان بمثابة الجناحين للطائر فإذا استقاما استقام طيرانه وإذا سقط أحد الجناحين سقط وصار في عداد الموتى، فمن سار بالخوف بدون رجاء هلك وحمله ذلك على اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن سار بالرجاء دون الخوف هلك وأمِنَ عقوبة الله وصار يفعل المعاصي ولا يُبالي، فالمؤمن حقا وصدقاً يخاف الله ربّ العالمين فيعبُدُه ويطيعُه ولا يعصيه، ومع ذلك يرجو عفوَّه ومغفرتَه ورحمتَه وجزاءَه.

ثم قال الشيخ رحمه الله: **"ودليل التوكل قوله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾، **وقوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾".

التوكل: هو الاعتماد (اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار)

والتوكل من أعظم أنواع العبادات القلبية، بل هو من علامات الإيمان وصدقه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، تقديم المعمول الذي هو ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ على العامل الذي هو: ﴿تَوَكَّلُوٓاْ﴾ يفيد الحصر (أي: توكلوا على الله وحده لا على غيره)، ومن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن، وهذا دليل خاص كما قدمنا على أنّه لا يجوز التوكل على غير الله، وفيها دليل عام على أنّ التوكل عبادة لأنّه مما أمر الله به ﷻ وما دام أنّه عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وإذا صدق العبد في توكله على ربّه كفاه حاجتَه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه، ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه، ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ التوكل لا يُنافي الأخذ بالأسباب المشروعة ومن ذلك أنّ الرسول ﷺ وهو سيد المتوكلين كان يأخذ بالأسباب، فأنت تعمل الأسباب وتأخذ بها لكن لا تعتمد عليها ولكن تعتمد على الله ﷻ.

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عمر ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **"لو أنّكم تتوكلون على الله حقّ توكلّه لرزقكم كما يَرزق الطير تغدو خِماصاً وتعود بطاناً"**، والمعروف أنّ الطيور لا تمكث في أوكارها بل تخرج وتبحث عن طعامها، وهذا من اتخاذ الأسباب.

التوكل منه ما هو:

واجب وصرفه لغير الله شرك أكبر: وهو الاعتماد المطلق على الله وتفويض جميع أموره إليه واعتقاد أنّ بيده جلبَ المنافع ودفعَ المضار.

ومنه ما هو شرك أصغر: وهو اعتماد على حيٍّ مع نوع افتقار، كالاعتماد على الأمير في حصول المعاش ونحوه مع الافتقار والتذلل.

والتوكيل جائز، وقد وكّل النبي ﷺ في شؤونه الخاصة والعامة وهذا ليس من العبادة.

ثم قال رحمه الله: **"ودليل الرّغبة والرّهبة والخشوع قوله تعالى:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾".

الرّغبة: هي طلب الشيء المحبوب.

الرّهبة: هي الخوف المثمر للهرب من المخوف (خوف مقرون بعمل، وعلى هذا تكون كلّ رهبة خوفاً وليس كلّ خوفٍ رهبة، فالخوف أعمّ من الرّهبة) وقيل: بمعنى الخوف.

الخشوع: هو نوع من التذلل والخضوع لله ﷻ.

وفي الآية: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أي: الأنبياء، ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: يتسابقون إليها، ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾: يدخل فيه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ﴿رَغَبًا﴾: طمعا في ثوابه، ﴿وَرَهَبًا﴾: خوفا من أليم عقابه، فمن صفاتهم الجمع بين الرّغبة والرّهبة، قال في الآية الاخرى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، فقلوبهم طامعة فيما عند الله تعالى من الثواب هاربة من وعيده، قال في آية أخرى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾، فاحرص على الجمع بين الرّغبة والرّهبة.

في آخر الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: أي متذللين، أصل الكلام: وكانوا خاشعين لنا، فتقديم الجار والمجرور على العامل يفيد الحصر والاختصاص، فالمعنى أنّهم كانوا لنا خاشعين لا لغيرنا، فالخشوع من أعمال العبد المختصة بالله، فهو عبادة ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وهذه الثلاث استدل لها المؤلف بهذه الآية وذلك أنّ الله ﷻ امتدح وأثنى على أنبيائه لاتصافهم بهذه الأوصاف الرّغبة والرّهبة والخشوع فهذه الثلاث صفات ممدوحة يُحبّها الله ويرضاها، فهي عبادات ولا يجوز صرفها لغيره .

ثم قال رحمه الله: **"ودليل الخَشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾".**

الخَشية: هي خوف مبني على العلم بعظمة من تخشاه وكمال سلطانه.

وعليه: فالخوف أعمّ من الخَشية والخَشية أخصّ من الخوف فكلّ خَشية خوف لا العكس.

الخوف لا تدري أهو قادر عليك أم لا، أمّا الخَشية فأنت تعلم أنّه قادر عليك.

واستدلال المؤلف رحمه الله بهذه الآية دليل على أنّ الخَشية عبادة وذلك أنّ الله أمر بخَشيته فقال: ﴿وَاخْشَوْنِ﴾، وكلّ ما أمر الله به فهو عبادة ويحبّه ويرضاه، والأمر بالشيء بعد النهي عن ضدّه يُفيد الاختصاص، فالله ﷻ أمر بخَشيته بعد أن نهانا عن خَشيتهم، وهذا الأسلوب يفيد الاختصاص، أي: أنّ الخَشية من الأفعال المختصة بالله، فلا تخشوا على وجه التعبد والتعظيم إلّا الله ﷻ.

والخشية كذلك لها أقسام وأقسامها كأقسام الخوف المتقدمة.

ثم قال رحمه الله: **"ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾".**

الإنابة هي: الرجوع إلى الله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية، وهي قريبة من معنى التوبة إلّا أنّ الإنابة فيها معنى التوبة وزيادة، فهي بمعنى التوبة التي هي: الرجوع، وتزيد عليها بمعنى آخر وهو: الإقبال على فعل الخيرات والمسارعة فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أمرٌ من الله بالإنابة، وهذا يُفيد أنّ الإنابة عبادة، وفي قوله: ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ دليل على أنّ الإنابة لا تكون إلّا لله ﷻ، فالله هو الذي يتوب على عباده ويغفر لهم ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وفي هذه الآية دليل عام وخاص أنّه لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي: استسلموا لأحكام الله الشرعية.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله""**.

الاستعانة: هي طلب العون.

قلنا طلب لوجود همزة الوصل والسين والتاء (**است**)، فإذا دخلت **است** على الكلمة أفادت الطلب، وذلك في الكثير الغالب، فالاستعانة طلب العون.

وفي قوله الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، أصل الكلام: **"نعبدك ونستعين بك"**، لكن من أساليب اللغة أنّ تقديمَ ما حقُّه التأخير وتأخيرُ ما حقُّه التقديم يفيد الحصر، فلا نعبد أحداً سواك ولا نستعين إلّا بك، لأنّه إذا قلت: **نعبدك ونستعين بك** فإن هذا يفيد: أنّك تعبده وتستعين به لكن لا يمنع أن تعبد وتستعين بغيره، لكن عند أن جاءت بهذا اللفظ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، أفادت أننا نعبدك ونستعين بك ولا نعبد ولا نستعين بأحد سواك فحصرت العبادة والاستعانة به ﷻ.

وفي الحديث: **"إذا استعنت فاستعن بالله"**، وهذا جزء من حديث ابن عباس عند الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ. وفيه أمرٌ بالاستعانة بالله وهذا يدلّ على أنّ الاستعانة عبادة.

وهي تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول:** الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذه جائزة بشرط: أن يكون حيّاً حاضراً قادراً، كأن تستعين بأحدٍ أن يبني لك جداراً أو أن يحمل متاعك، فإن كان حيّاً حاضراً جاز وإن كان غائباً أو ميتاً فهذا شرك.
- **القسم الثاني من أقسام الاستعانة:** الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله ﷻ، وهذه شرك أكبر، كالاستعانة بالمخلوق في إنزال المطر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾"**.

الاستعاذة: طلب العوذ (أي: الحماية من المكروه).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أمرٌ من الله لنبيه وأمته تبعٌ له في ذلك بطلب العوذ من الله وفي هذا دليل على أنّ الاستعاذة عبادة.

والفلق: هو الصّبح، وقيل: الفلق: هو الخَلق، وعلى التفسيرين فإنّ ربّ الفلق هو الله ﷻ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: يشمل شرّ جميع المخلوقات، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: الغاسق ظلام الليل، إذا وقب، أي: إذا أقبل، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾: من شرّ السواحر، فأنت تستعيذ بالله من شرّ السحر

والسواحر، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير، وهو من الخصال المذمومة لأنّه اعتراض على قسمة الله وإساءة إلى الخلق.

والدليل الثاني الذي استدل به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو قول الله تعالى في سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: أمرٌ من الله ﷻ بالاستعاذة به.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: هذه كلُّها أسماءٌ وصفاتٌ لله تعالى، وفي هذه الآيات إشارة إلى أنواع التوحيد الثلاثة:

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: توحيد الربوبية.
- ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾: توحيد الأسماء والصفات.
- ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: توحيد الألوهية.

وعلماء أهلِ السّنة والجماعة حين قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسامٍ لم يُقسموه لهوى في أنفسهم أو تقليداً لغيرهم، ولكن قسّموه بعد استقراء أدلة الكتاب والسّنة.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: الوسواس هو الشيطان الرجيم لأنّه يوسوس للإنسان ويُخيل إليه، والخناس هو كذلك الشيطان، فإنّ الشيطان إذا غَفَلت عن ذكر الله وسوس، وإذا ذكرت الله ﷻ خنس، أي: تأخر وابتعد.

﴿ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

لهذا كان النبي ﷺ يقول: **"ما تعوذ متعوذٌ بمثلهما"** يعني: بسورة الفلق وسورة الناس.والحديث أخرجه أبو داود وأحمدُ والنسائيُ من حديثِ عقبةَ بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والاستعاذة تنقسم كذلك إلى قسمين:

- الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهي جائزة بشرط أن يكون حيّاً حاضراً قادراً.
- والاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله وهذه صرفها لغير الله شرك أكبر.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الاستغاثة قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾".

الاستغاثة: طلب الغوث (وهو: الإنقاذ من الشدّة والهلاك).

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، الله عَزَّ وَجَلَّ ذكّر المسلمين بوقت استغاثتهم بالله وطلبهم إزالة ما نزل بهم من شدّة في غزوة بدرٍ فاستجاب لهم وكشف عنهم الضّر ونصرهم يومئذ.

استدل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية على أنّ الاستغاثة عبادة، ووجه الدلالة منها أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ رتّب الاستجابة على الاستغاثة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يستجيب إلّا لعمل يُحبّه ويرضاه.

وهي قسمان كالاستعانة والاستعاذة تماماً:

- **القسم الأول منها:** الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهذه جائزة بشرط: أن يكون حيّاً حاضراً قادراً، قال الله تعالى: في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ﴾، وموسى عليه الصلاة والسلام حيّ وموسى حاضر وموسى قادر عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- أمّا القسم الآخر منها فهو: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر.

هذه العبادات الثلاث الأخيرة والتي هي: **الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة** تدخل تحت معنى: الدعاء، فدعاء المسألة يشملها جميعاً ويزيد عليها، فالدعاء أعمّ وهذه أفرادٌ خاصةٌ تحت معنى الدعاء، لذلك ترى أنّ أقسامها نفس أقسام دعاء المسألة الذي هو الطلب، وهذه الثلاث كلّها قلنا فيها همزة الوصل والسين والتاء **است** فهي طلب، فيتنبه الطالب إلى ذلك ويحصرها في ذهنه ويُقيدها كي لا يتشتت.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الذبح قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٣ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٤﴾، **ومن السنّة: "لعن الله من ذبح لغير الله""**.

الذبح: هو إراقة الدم، وهو من العبادات الظاهرة، وأمّا الشاهد من الآية فهو قوله تعالى: ﴿وَنُسُكِي﴾، ذكر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ النسك في هذه الآية يقصد به: الذبح، فكما أنّ صلاتُك لله ربّ العالمين فكذلك ذبحُك يكون لله وحده لا شريك له في ذلك.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾: أي: أمرت بإخلاص هذه العبادات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأمّا الحديث الذي استدل به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ فهو صحيح مسلم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعنى: **لعن الله**، اللعن من الله هو الطرد من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأنّه أشرك بالله حين ذَبح لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُفهم من الآية ومن الحديث أنّ الذي يقصد بذبحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده فهذا يكون ممدوحاً عند الله تعالى ومحبوباً، وعليه فإنّ الذبح عبادة.

والذبح إمّا أن يكون ذبح عادة أو ذبح عبادة:

فذبح العادة: هذا لا أجر ولا وزر فيه، كشاة اللحم والتجارة والولائم، فهو ليس بعبادة مالم تدخله نية، فإذا أراد به عفاف أولاده وأهله والنفقة عليهم أُجر، وإن أراد بهذا الذبح الفخر والخيلاء أثم.

و ذبح العبادة قد يكون شرعياً وقد يكون شركياً:

فالشرعي: منه ماهو:

- **واجب:** كالهدي.
- ومنه ماهو **مستحب** كالأضحية على الرّاجح.

والشركي: هو الذبح لغير الله بقصد تعظيم المذبوح له والتقرب إليه والتذلل إليه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل النّذر قوله تعالى:** ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾".

النذر: إلزام الإنسان نفسَه بشيءٍ لم يلزمه بأصلّ الشرع، والنذر إمّا أن يكون شرعياً وإمّا أن يكون شركياً.

فالشرعي: ماكان لله ﷻ وقد يكون مطلقاً وقد يكون مقيداً.

١- فالمطلق: الذي لم يُقيد بشيء، فيقول مثلاً: نذرت أو: لله عليّ أن أصوم يوماً في سبيل الله.
٢- والمقيد: قُيّد بشيء، لله عليّ إن شُفيت أن أصوم يوماً في سبيل الله، (قُيّد بالشفاء).

وهذا الثاني (المقيد) يسمى: نذر المقابلة تركه أولى لأنّه يُستخرج من الشحيح لكن إذا حصل يجب الوفاء به.

والنذر الشركي: ما كان لغير الله ﷻ، كمن نذر لصنم أو حجر وهذا نذر معصية وشرك.

قال ﷺ: **"من نذر أن يُطيع الله فليُطعه ومن نذر أن يعصّه فلا يعصه"** أخرجه البخاري من حديث عائشة.

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: يحمل النذر في الآية على معنييه المطلق والمقيد، فالذين يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من العبادات التي لم تكن واجبة عليهم، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: يخافون يوم القيامة الذي كان شرّه ممتداً ظاهراً، هؤلاء امتدحهم الله ﷻ بوفائهم بنذرهم، وفي هذا دليل على أنّ الوفاء بالنذر أمرٌ محبوبٌ عند الله ﷻ وامتدح أهله، وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادةٌ لا تكون إلّا لله ﷻ.

بهذا يكون الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد انتهى من ذكر أنواع العبادة التي قلنا سابقاً أنّها على سبيل التمثيل لا الحصر وبه يكون قد انتهى من الأصل الأول الذي هو معرفة العبد ربّه وسيكون درسنا القادم بإذن الله تعالى في الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

وفقني الله وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح والحمد لله ربّ العالمين.

المجلس السابع من مجالس شرح الأصول الثلاثة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أمّا بعد:

فإنّ أصدق الحديث كلامُ الله وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكلَّ ضلالة في النَّار.

قال شيخ الإسلام العالم الإمام محمدُ بنُ عبدِ الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: **" الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة".**

بعد أن فرغ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من بيان الأصل الأول من الأصول الثلاثة وهو معرفة العبد ربَّه، وأنّه ربّ العالمين، ودلل على ذلك بالأدلة، وبين رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ هذا الرّب هو: الخالق الرازق المدبر، والذي يجب أن تُخلَصَ العبادة له وحده لا شريك له فيها، وبيّن خطر الشرك وفضل التوحيد ثم ذكر بعد ذلك بعضاً من أنواع العبادة التي يجب أن لا تُصرف لغير الله، وأقام الأدلة على كونها عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، ومن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر، بعد أن ذكر هذا كلّه وذكرناه وأتممناه بحمد الله ﷻ وتوفيقه، ندخل على الأصل الثاني من هذه الأصول الثلاثة التي هي أسئلة القبر باختصار: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والأصل الثاني: هو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

الدين: يُراد به الطاعة، يُقال: دان له أي: أطاعه.

ويُراد به كذلك الحساب، قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، أي: يوم الحساب.

هذا الدين الذي تدين لله به وتُطيع الله به يجب عليك أنت كطالب علم أن تعرفه بالأدلة والمراد بالأدلة هنا: أدلة الكتاب والسّنة، الأدلة السمعية وهي نفسُها: الأدلة النقلية، ولاتكن في معرفة دينك مقلداً أو متبعاً لهواك، فإنّ الإنسان الذي يكون هذا حاله حريٌّ به إذا سُئل في قبره أن يقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، كما مرّ معنا في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، فحريٌّ بك أيها الطالب المُوفق أن تحرص غاية الحرص على تَعلُم دينك بالأدلة من كتاب الله ومن سنّة النبي ﷺ، ولا يكون ذلك إلّا بالتعلم والتضحية بشيء من الجهد والوقت والمال، وإذا كنت ممن يعرف دينه بالأدلة فحريٌّ بك أن تكون ممن يُثَّبت عند السؤال.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك في تعريف الاسلام: **"وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله".**

الإسلام في اللغة هو: الاستسلام والانقياد، يُقال: استسلم الجمل لصاحبه إذا انقاد له، وهو في الشرع يطلق في الكتاب والسّنة ويُراد به أحد أمرين:

إسلام كوني: وهو الاستسلام والخضوع لأمر الله الكوني وهذا الإسلام ليس للمخلوق فيه اختيار، كالموت والمرض والفقر وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾.

إسلام شرعي: وهو الاستسلام لأمر الله الشرعي والخضوع له بفعل المأمورات وترك المنهيات وهو ينقسم إلى:

معنى عام: وهو ما عرفه به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال: **الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**، وهذا المعنى العام يشمل دينَ جميعِ الأنبياءِ بلا استثناءٍ بما فيهم دينُ محمدٍ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾.

معنى خاص: وهو الإسلام الذي بُعث به محمدٌ ﷺ، وهو ناسخ للأديان قبله، وهو الذي يشمل المراتب الثلاث التي سيأتي ذكرها وهي: الإسلام والإيمان والإحسان.

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عرّف الإسلام بمعناه العام وهو كما قلنا سابقاً، دين الأنبياء واحد لكن الشرائع مختلفة، ثم قيّده بعد هذه الفقرة بقوله: **وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان**، فأنت ترى أنّ المعنى الخاص للإسلام فيه معنى الإسلام العام وزيادة، فلا يُقبل منك يا عبد الله أن تقول: أنا مستسلم لله بالتوحيد منقاد له بالطاعة ومتبرأ من الشرك وأهله لكن أنت لم تتبع النبي محمداً ﷺ في إسلامه فأنت على دين غيره فهذا ليس بمسلم لأنّ دينَ محمدٍ ﷺ لا يَقبل الله ديناً سواه فهو ناسخ لجميع الأديان، فيجب عليك أن تكون مسلماً على الإسلام الذي شرعه الله على محمد ﷺ.

قال الشيخ في تعريفه: **وهو الاستسلام لله بالتوحيد:** فالإنسان يستسلم لأيّ شيءٍ؟ يستسلم لله بالتوحيد بأن يُوّحدَه ويُفردَه بالعبادة، فمن عبده وحدَه دون ما سواه فقد استسلم له بالتوحيد.

والتوحيد سبق وأن عرفناه وقلنا هو في اللغة: مصدر من وَحّد يُوّحد توحيداً، إذا جعل الشيء واحداً.

وفي الشرع: هو إفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، وهو أقسام ثلاثة:

- **توحيد الربوبية:** وهو توحيد الله ﷻ في أفعاله، كالخلق والملك والتدبير.
- **توحيد الألوهية:** وهو توحيد الله في أفعالنا، فنعبُد الله وحدَه ولا نُشرِك معه غيرَه.
- **توحيد الأسماء والصفات:** وهو إفراده ﷻ بما سمّى به نفسه أو وصف في كتابه أو في سنّة نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم قال في تعريف الإسلام: **والانقياد له بالطاعة:** وذلك بأن تنقاد لله ﷻ بفعل المأمور وترك المحظور.

والبراءة من الشرك وأهله: بأن تعتقد بطلان الشرك فتبتَعِدَ عنه وتُبغِضَ أهله، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾، بهذه الكلمات المختصرة عرّف الشيخ رحمه الله الإسلام، ولك أن تمشي من المشرق إلى المغرب فكم من منتسب إلى الإسلام إذا قلت له ما هو الإسلام؟ لم يجب جواباً صحيحاً.

ثم قال رحمه الله: **"وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان".**

هذا الدين (دين الإسلام) ثلاث مراتب، والمراتب جمع مرتبة: أي: درجات ومنازل بعضها أعلى من بعض.

هذه المراتب هي الدين كلّه، مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان هي الدين كلّه، لما جاء في آخر حديث جبريل المشهور، قال ﷺ: **"هذا جبريل أتاكم يعلِمُكم دينَكم".** فسمّى ﷺ هذه الثلاث ديناً.

فتأتي مرتبة الإسلام وهي أوسع المراتب ثم تأتي مرتبة الإيمان وهي أضيق من دائرة الإسلام ثم تأتي مرتبة الإحسان وهي أضيق المراتب، ولك أن تُمثل ذلك عندك برسم فترسم دائرة كبيرة هي دائرة الإسلام ثم ترسم دائرة داخل الدائرة الأولى التي رسمناها للإسلام وتسميها دائرة الإيمان ثم ترسم دائرة أصغر داخل الدائرة الثانية دائرة الإيمان وتسميها دائرة الإحسان.

هذه المراتب الثلاث كلّ مرتبة لها أركان.

وركن الشيء هو جانبه الأقوى (وهو: ما يقوم عليه ولا يقوم بدونه)، فلا يقوم البيت دون أركان، كذلك هنا لا تقوم هذه المراتب دون هذه الأركان.

دليل هذه المراتب وهذه الأركان سيأتي كلّه في حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي سيأتي قريباً معنا بإذن الله، فإنّه ذكر لكلّ مرتبة أركاناً.

قال رحمه الله: **"فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله الحرام".**

دليل ذلك حديث عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام"** وهو متفق عليه، وكذلك ورد ذكرها في حديث جبريل المشهور.

هذه الأركان الخمسة هي أساسات الإسلام وأركانه التي يقوم عليها وإلّا فإنّ هناك أمورٌ أخرى من الإسلام لكنّها ليست بهذه المنزلة لكنّها مكملات لهذه الأركان.

فأول أركان الإسلام مكون من شقين: شهادةُ أن لا إله إلّا الله وشهادة أنّ محمداً رسول الله، وجعلتا ركناً واحداً، لأنّهما متلازمان، فلا يمكن أن نُوّحد الله دون اتباعٍ للنبي ﷺ، ولا يُمكن اتباع النبي ﷺ دون تحقيق التوحيد، ولأنّ العبادة لا تُقبل إلّا باجتماعهما معاً وتحققهما جميعاً، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

وفي هذا إشارة إلى شرطي قبول العبادة:

- فشهادة أن لا إله إلّا الله تضمنت ركن الإخلاص.
- وشهادة أنّ محمداً رسول الله تضمنت ركن المتابعة للنبي ﷺ.

هذا الركن (ركن الشهادتين) أعظم الأركان وهو أصل الدين وبهما يدخل المرء الإسلام وإذا عُدم هذا الركن عدم الدين كلّه.

والشهادة هي الإخبار عما في قلبك يقيناً، ومعنى الشهادة: أنطق بلساني عمّا يكنه قلبي.

وباقي الأركان هي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، وهذه كلّها أعمال ظاهرة.

قال رحمه الله: **"فدليل الشهادة قوله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾".

أي: دليل شهادة أن لا إله إلّا الله، لأنّ الشهادة إذا أطلقت قُصد بها شهادة أن لا إله إلّا الله، لذلك المؤلف رحمه الله لم يقل: فدليل شهادة أن لا إله إلّا الله، بخلاف الثانية وستأتي فإنّه قال: **ودليل شهادة أنّ محمداً رسول الله.**

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: حكم وقضى وأعلم وألزم وبين، (هذه كلّها بمعنى واحد)، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾: نافياً العبادة عمّا سوى الله عز وجل، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: مثبتاً العبادة لله وحده.

وفي الآية: أشهد الله نفسه وملائكته وأولوا العلم (وهم: أعظم شاهد) أشهدهم على أعظم مشهود وهو: شهادة أن لا إله إلّا الله، وكما سبق وأشرنا أنّه لو لم يكن للعلماء من فضل إلّا هذا لكفاهم شرفاً وفضلاً، وعند قولنا العلماء فالعلماء هم العلماء بدينه وشرعه، فإنّ العلم إذا أطلق في القرآن فإنّه يُطلق على العلم الشرعي ولا يُطلق على غيره.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾: قائماً على شؤون خلقه بالعدل يخفض ويرفع، يُعطي ويمنع، يُعزُّ ويُذلُّ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: ختمتها الله عز وجل بما بدأها به، فإنّها بُدأت بالتوحيد وخُتمت بالتوحيد.

والعزيز اسم من أسماء الله تعالى يتضمن صفة العزّة، والحكيم كذلك من أسماء الله تعالى فهو سبحانه وتعالى ذو الحكمة الذي يُحكم الأشياء ويُتقنها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلّا الله وحده".**

أي: معنى لا إله إلّا الله: لا معبود بحقٍّ إلّا الله.

ومعنى شهادة أن لا إله إلّا الله: هي أن يعترف الإنسان بلسانه عمّا يُكنه قلبه بأنّه لا معبود بحقٍّ إلّا الله.

لا إله إلّا الله: هذه الكلمة التي نقولها دائماً ونسأل الله ﷻ أن يجعلها آخر كلامنا في هذه الحياة الدنيا يجب علينا أن نعرف معناها، وما معنى إله في لا إله إلّا الله؟

الإله هو: المعبود، لأنّ الإله من: أله يأله إلهة، أي: عَبدَ يَعبدُ عِبادةً.

قال الشاعر: **للهِ درُّ الغانيات المدّهِ *** سبحن واسترجعن من تألهي** من تألهي: أي: من تعبدي.

والله ﷻ يقول في بداية سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ أنظر: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، وهي موافقه لكلمة التوحيد: **لا إله إلّا الله**، فلذلك فسّرنا الإله بالمعبود، فهو موافق لما جاء في القرآن وهو موافق للغة العرب كذلك، فالتأله معناه التعبد ولا إله، أي: لا معبود.

ونحن لا نفسر **لا إله إلّا الله** بتوحيد الربوبية ونقول: لا ربّ إلّا الله، فلا خالق ولا رازق إلّا الله، فالربوبية غير الألوهية، ولو كانت كذلك لما امتنع كفار قريش من قولها، لأنّهم كانوا إذا سُئلوا؟ من خلقهم فإنّهم يقولون: الله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٦١﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٨٧﴾، وإذا سُئلوا من يرزقهم فإنّهم يقولون: الله، من الذي يحيي ومن الذي يميت؟ فإنّهم يقولون: الله، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩﴾، هم يعترفون بكلّ هذا لكنّ مشكلتهم في توحيد الألوهية، توحيد العبادة لله، لذلك علِموا معناها فامتنعوا من قولها، فهم يعلمون علم اليقين أنّ قولهم لهذه الكلمة معناها الكفر بكلّ إله غيرُ الله ﷻ، لذلك قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾.

ولا نقول في تفسيرها كذلك: لا معبود إلّا الله، فإنّ هذا غلطٌ كبير، لأنّه تكون حينئذ هذه المعبودات كلّها هي الله، فأننا نعلم أنّ هناك معبودات عُبدت من دون الله وسمّاها الله آلهة في كتابه، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾، فهي آلهة عُبدت لكن عُبدت بباطل ولم تُعبد بحقّ.

فلماذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ معناها لا معبود بحقٍ إلّا الله؟ ولماذا أضاف كلمة **بحق** لمعناها؟ أنت إذا قلت أنّ معناها: لا معبود بحقٍ إلّا الله حينها انتفت هذه المعبودات كلّها إلّا الله ﷻ.

لا إله إلا الله، لا: هذه نافية للجنس تعمل عمل إنَّ، نصبت الاسم الذي هو إله، وقلنا قريباً أنّ معنى إله: معبود، ولا هذه النافية ترفع الخبر، والخبر محذوف وتقديره: **حقٌ**، وقدرنا الخبر: **حقٌ**، لقوله تعالى في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾، وقوله كذلك في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾.

ولو قدرنا الخبر كما فعل البعض بموجود يكون المعنى: لا إلهَ موجودٌ إلّا الله، وهو نفس ما سبق بأنّه لا يصح تفسيرها بلا معبود إلّا الله، فإنّ هذا يُخالف الواقع، فإنّ المعبودات وُجدت وعُبدت لكن بغير حقٍ.

إلّا في قوله لا إله إلّا الله: إلّا: أداة استثناء، **إلّا الله:** مثبتاً العبادة لله وحده دون سواه.

وعليه فقولك **لا إله إلّا الله**، أي: لا معبود بحقٍ إلّا الله، أي: أنّ كلّ ما يُعبد من دون الله عبادته باطلة والمستحق للعبادة على الحقيقة هو الله ﷻ.

فالخلاصة والتي يجب عليك معرفتها أنّ معنى لا إله إلّا الله هو ما قاله الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **لا معبود بحقٍ إلّا الله**، أو: **لا معبود حقٌ إلّا الله**.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"لا إله: نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، إلّا الله: مُثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه".**

نستفيد من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ **أركان لا إله إلا الله:** وهما النفي والإثبات.

لا إله: نفيٌ للعبادة عمّا سوى الله، **إلّا الله:** إثباتُ العبادة لله وحده دون سواه، ولا يكفي أحدهما عن الآخر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾، ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾: وهذا نفيٌ وتبرئ مما يعبدون، ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: هذا إثبات العبادة لله وحده.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: هذا النفي، ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: هذا الإثبات.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: فيه إثبات الألوهية لله وحده، ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: فيه نفي.

وفي آخر كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلزام للناس بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية وذلك في قوله: **لا شريك له في عبادته كما أنّه لا شريك له في ملكه.**

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وتفسيرها الذي يُوضحها قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾".

هذه الآية تُفسّر لنا معنى كلمة التوحيد **لا إله إلّا الله**، ففيها النفي والإثبات كما تقدم، فيها الكفر بالطاغوت والإيمانُ بالله وحده.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾: إبراهيم هو خليل الرحمن أبو الأنبياء من بعده، إمام الحنفاء، أفضل النبيين والمرسلين بعد محمد ﷺ، وأبوه هو آزر ورد ذكر اسمه في آية أخرى.

ماذا قال إبراهيم لأبيه وقومه؟ ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾: وهذه موافقة للا إله وفيها النفي، وهو الكفر بما يُعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: إلّا الله وهي موافقة للإثبات، إثبات العبادة لله وحده.

وقوله: ﴿فَطَرَنِى﴾: أي: خلقني وأوجدني، وفي هذا إشارة إلى أنّ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة، ولابد، فكما أنّه لا شريك له في الخلق فلا شريك له في العبادة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي: يدلني على الحق ويوفقني إليه، والهداية هدايتان:

- **هداية التوفيق:** وهي لله وحده، قال تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾.
- **هداية البيان:** وهذه ثابتة للرّسل ولأتباعهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾.

ثم قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾: اتفق أهل التفسير على أنّ الكلمة الباقية هي كلمة التوحيد، **لا إله إلّا الله**، وهي مذكورة هنا في هذه الآية بمعناها المتضمن للنفي والإثبات.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: في ذريته ونسله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون من الشرك إلى التوحيد.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وقوله تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾".

هذه الآية مثل الآية التي سبقت، فإنّ فيها بيانٌ وتفسيرٌ لكلمة **لا إله إلّا الله**.

﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: وهم اليهود والنصارى.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: وهي كلمة التوحيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (وهذه هي الكلمة السواء التي بيننا وبينكم، أي: نحن وإياكم فيها سواء).

وهذه الكلمة في الآية اشتملت كذلك على النفي والإثبات وذلك في قوله:

﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾: هذا النفي وهي توافق **لا إله**، ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: هذا الإثبات.

﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: شيئا هنا نكرة في سياق النفي فهي تعمّ كلّ الشرك صغيره وكبيره دقيقه وجليله.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا يُعظّم بعضُنا بعضاً كتعظيم الله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: فإن أعرضوا.

﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: قولوا لهم وأخبروهم أنّكم مُوّحدون مؤمنون بهذه الكلمة وتبرؤوا منهم.

ويحسن بنا بعد أن عرفنا معناها وعرفنا أركانها أن نعرف شروط هذه الكلمة.

وهي باختصار سبعة، نظمها الشيخ العلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ في: **سُلّم الوصول إلى علم الأصول** نظماً بديعاً يَسهل معه حفظها، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

العلم واليقين والقبول * والانقياد فادر ما أقول**

والصدق والإخلاص والمحبّة * وفقك الله لما أحبّه**

العلم هذا الشرط الأول، العلم واليقين: اليقين الشرط الثاني، والقبول: الشرط الثالث، والانقياد: الشرط الرابع، فادر ما أقول، والصدق: هذا الشرط الخامس، والإخلاص: الشرط السادس، والمحبّة: الشرط السابع، وفقك الله لما أحبّه، آمين.

فالعلم هو العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشّك، والقبول المنافي للرّد، والانقياد المنافي للترك، والصدق المنافي للكذب، والإخلاص المنافي للشرك، والمحبّة المنافية للبغض.

وزاد بعضهم شرطاً ثامناً كالشيخ العلامة عبدُ العزيز بنُ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو: الكفر بما يُعبد من دون الله، وجمعت في نظم آخر:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ مَعْ * محبّةٍ وانقيادٍ والقبولُ لها**

وزيدَ ثامنها الكفرانُ منكَ بِمَا * سوى الإلهِ من الأشياء قد أُلها**

فالذي ينبغي لطالب العلم أن يحفظ هذه الشروط أو يختار النظم الأول أو الثاني حسب ما تيسر له ويحفظه فالنظم يعين الطالب على تقييد الفوائد، لذلكم قال الناظم حاثاً على الاعتناء بالمنظوم.

واحرص على المنظوم فهو أسهل * للحفظ من نثرٍ ومنه أجملُ**

وهو لطلاب العلوم أنفعُ * وللفوائد الحسان أجمعُ**

من أجلِ هذا عَوّل الأعلامُ * عليه وانبرت له الأقلامُ**

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل شهادةِ أنّ محمداً رسول الله قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾".

أي: والدليل على أنّ شهادة أنّ محمداً رسول الله ركنٌ من أركان الإسلام قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

اللام في لقد لام قسم، فيها قسمٌ مقدرٌ، تقديره: والله لقد جاءكم.

قد: حرف تأكيد بعد تأكيد، فاجتمعت ثلاث مؤكدات: القسم واللام وقد.

﴿جَآءَكُمْ﴾: خطاب عامٌ لجميع الناس حتى الجنّ، وقد يُحمل المُخاطب على العرَب دون غيرهم، ويكون المعنى: لقد جاءكم أيها العرب رسولٌ من أنفسكم، ﴿رَسُولٌ﴾: الرسول من أُوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه، وهو مرسل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: من جنسكم، جنسِ البشر، ليس مَلَكاً فهو منكُم ومثلُكُم، تعرفونه وتعرفون نسبه وبلده وقبيلته وتعرفون أخلاقه حتى.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: يشقّ عليه ما يشقّ عليكم، لذلك جاءت شريعته سهلة سمحة وما فيها مشقّة، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: حريص على هدايتكم ونصحكم وإنقاذكم من النّار.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: وهذا الرسول ﷺ رؤوف ورحيم بالمؤمنين أمّا مع الكفّار فهو غليظٌ شديدٌ عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومعنى شهادة أنّ محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يُعبد اللهُ إلّا بما شرع".**

معنى الشهادة تقدم وقلنا بأنّه الإخبار عمّا تعتقده في قلبك أنّ محمداً ابنُ عبد الله بنِ عبد المطلب القرشي الهاشمي مرسلٌ من عند الله تعالى إلى الثقلين الجنّ والإنس، فهو عبدٌ لا يُعبد ورسولٌ لا يُكذّب، أوحى الله إليه بشرعٍ وأمره بتبليغه وأنزل عليه الكتاب والحكمة، ويلزم من هذه الشهادة أمور ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهي:

طاعته فيما أمر: قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾.

وتصديقه فيما أخبر: قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾، فالرسول ﷺ يُخبر عن ربّه بأمورٍ كثيرةٍ، ومنها الأمور الغيبية، فكيف بمن يشهد أنّه رسول الله ولا يُصدقه في أخباره.

واجتناب ما نهى عنه وزجر: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾، وقال رسول الله ﷺ: **"إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم".**

وأن لا يُعبد الله إلّا بما شرع: فلا يُعبد الله عَزَّوَجَلَّ بالبدع والمحدثات وبالأهواء والضلالات، قال ﷺ: **"من عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"** (متفق عليه)، فالمسلم حقّاً وصدقاً إنّما يعبد الله بما شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبما جاء عن النبي ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام: **"عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة"**، أخرجه أبو داودَ والترمذيُ وغيرُهما من حديث العرباضِ بنِ سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾".**

أي: ودليل أنّ الصلاة والزّكاة من الدّين وتفسير التوحيد قول الله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا بعبادته وأمرنا بعبادته وحده مخلصين له الدين، أي: هذه العبادة تكون صافية ونقية من الشرك، هذه العبادة تكون له وحده (لأنّ الإخلاص: هو التصفية والتنقية)، ﴿حُنَفَآءَ﴾: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، وهذا هو تفسير التوحيد الذي عناه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾: وهذا من باب عطف الخاص على العام، لأنّ الصلاة والزكاة من العبادة ومع ذلك ذكر العبادة وأنّه يجب أن تكون له خالصةً ثم ذكر الصلاة والزّكاة لعظيم أهميتهما.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾: دين الملّة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها.

والله تعالى قيّد الصلاة بإقامتها فقال تعالى: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولم يقل: ويصلوا، فإقامة الصلاة: إعطاؤُها حقَّها وذلك بإقامتها بطهارتها والمحافظة على أدائها في وقتها بشروطها وأركانها وواجباتها، لذلك قال النبي ﷺ للمسيءِ صلاتَه: "ارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ"، وهذا من حديث أبي هريرة ﷺ وهو متفق عليه، فأنت اليوم ترى الجموع الكثيرة من المصلين لكنّ المقيمين لها في الحقيقة قليل والله المستعان، والزّكاة إنّما تجب لمن مَلَك النِّصاب وحال عليه الحول، وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

ثم قال رحمه الله: **"ودليل الصيام قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾".

﴿كُتِبَ﴾ أي: فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من الأمم.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: لكي تتقون عذاب الله وتفوزون بثوابه.

ثم قال رحمه الله: **"ودليل الحجّ قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾".

قيد ركن الحجّ بالاستطاعة، قال تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾، وهو واجب مرّةً في العمر.

هذه هي أركان الإسلام الخمسة وهذه أدلتها، ونتوقف هنا لأنّ المؤلف رحمه الله سينتقل إلى المرتبة الثانية من مراتب الدين وهي مرتبة الإيمان وهذه سيكون الحديث عنها في المجلس القادم بإذن الله تعالى.

نكتفي بهذا القدر في هذه الليلة.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، أمّا بعد:

فهذا هو المجلس الثامن من مجالس شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام العالم الإمام: أبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب وألهمنا طريق الرشد والصواب.

كنا قد انتهينا في آخر مجلس من تفصيل القول في المرتبة الأولى من مراتب الدين ألا وهي مرتبة الإسلام، وعرّفنا الإسلام وذكرنا أركانه الخمسة وفصّلنا القول في الرّكن الأول، ركنُ الشهادة، لأنّه أصل الأركان وأعظمها، وذكرنا معنى لا إله إلّا الله وبيّناه وقلنا أنّ معناها: **لا معبود بحقٍّ إلّا الله**، وذكرنا أركان هذه الشهادة وقلنا هما ركنان: النفي والإثبات، النفي في قولك: **لا إله**، والإثبات في قولك: **إلّا الله**، وذكرنا كذلك شروطها السبعة، وفصّلنا القول كذلك في شهادة أنّ محمداً رسول الله وأنّها تقتضي من صاحبها أن يطيع رسول الله ﷺ فيما أمر وأن يُصدقه فيما أخبر وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر وأن لا يَعبد الله إلّا بما شرع، ثم ذكرنا بقية أركان الإسلام، وكان الدرس مدججا بالأدلة السمعية، أدلة الكتاب والسّنة، لأنّه كما سبق وأشرنا إليه أنّ دين الإسلام لا يُعرف إلّا بأدلة الكتاب والسّنة ولايُعرف بغير ذلك فليس للهوى والعقل والتقليد والابتداع نصيب في ذلك، فنحمد الله ﷻ أن وفقنا لكلّ هذا، ونسأل الله ﷻ الإخلاص في القول والعمل، وفي هذه الليلة بإذن الله سيكون تفصيل القول في المرتبة الثانية من مراتب الدين، مرتبةِ الإيمان.

قال الشيخ رحمه الله: **"المرتبة الثانية: الإيمان".**

الإيمان في اللغة: هو التصديق والإقرار، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، أي: وما أنت بمصدقٍ لنا ولو كنا صادقين.

وهو في الشرع: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ولمن أراد ضبطه كما ضبطه أحد المشايخ بأنّه خمس نونات فقال في تعريفه: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بمعصية الرحمن.

وقد زلّ في تعريف الإيمان فرقٌ كثيرة لزم من تعريفهم مخالفات كبيرة وخطيرة، سيأتي ذكرها في وقتها في كتب أخرى أكبر من هذا إن شاء الله.

الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت.

- إذا افترقا في الذكر وذكر أحدهما دون الآخر، صارا بمعنى واحد (الأعمال الظاهرة والباطنة).

- أمّا إذا اجتمعا في الذكر صار:
  - الإيمان: هو الأعمال الباطنة.
  - الإسلام: هو الأعمال الظاهرة.

الإيمان كما ذكرنا في تعريفه لا بد فيه من ثلاثة أمور: القول/الاعتقاد/العمل.

ولا يغني أحدُ هذه الأركان عن الآخر، لا بد من اجتماعها جميعاً.

فلو قال ولم يعتقد ولو عمل كان منافقاً، قال الله تعالى واصفاً حالهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ولو اعتقد ولم يقل لم يكن مؤمناً كحال الكفار وقد قال الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، ولو عمل من غير اعتقاد كان عمله هباء منثوراً، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾.

وكما سبق وأن مثلنا فإنّ دائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان، ولا إسلام دون إيمان، فكلّ مؤمن مسلم وليس كلّ مسلم مؤمن، فإنّ الإيمان فيه خصوصية زائدة، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وهو بِضعٌ وسبعون شعبةً".**

البِضع: بكسر الباء من ثلاثة إلى تسعة / والشعبة: هي القطعة من الشيء.

فتكون شعب الإيمان من ثلاث وسبعين شعبة الى تسع وسبعين شعبة.

في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إشارة الى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **"الايمان بضع وسبعون شعبة"**، وفي رواية البخاري: **"الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلّا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان".**

قال: **"فأعلاها قول: لا إله إلّا الله".**

أعلى هذه الشعب وأعظمها وهو الركن الأساس، شهادةُ أن لا إله إلّا الله، وهي العروة الوثقى وكلمة التقوى ومفتاح الجنّة.

قال: **"وأدناها إماطة الأذى عن الطريق".**

أدناها أي: أقلها، إماطة أي: إزالة.

الأذى: هو كلّ ما يُؤذي الناس من شجر وحجر ونحو ذلك.

قال: "والحياء شعبةٌ من الإيمان".

الحياء: صفة انفعالية تحدث عند الخجل، ومنه محمود ومذموم.

فالحياء المحمود: هو الذي يدفعك للتحلي بالأخلاق الحسنة.

وأمّا الحياء المذموم: فهو الذي يمنعك من فعل الطاعة أو السكوت عن المعصية.

وهذا الحديث من أقوى الأدلة على أنّ الإيمان: قول واعتقاد وعمل، لأنّه شمل:

- **الأعمال القلبية:** الحياء، وهذا عمل الجنان، عمل القلب.
- **الأعمال القولية:** قول لا إله إلّا الله، وهذا قول اللسان.
- **الأعمال الفعلية:** إماطة الأذى عن الطريق، وهذا عمل الجوارح والأركان.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه".

وأركانه، أي: أركان الإيمان، وهي: أساساته ودعائمه التي يقوم عليها ولا يقوم بدونها.

الجمع بين أنّ أركان الإيمان ستة وأنّه بِضعٌ وسبعون شعبةً أنّ هذه الستة الأركان إذا زال أحدها زال الإيمان، وأمّا هذه البِضع والسبعون فإنّها مُكملات لا يزول الإيمان بزوال الشيء منها، إمّا واجبات وإمّا مستحبات.

هذه الاركان دليلها حديث جبريل المشهور وسيأتي ذكره بإذن الله.

أول هذه الأركان: **الإيمان بالله:**

هذا أعظم الأركان وهو أصل الاصول، ويشمل أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد دلّ على ذلك: الفطرة والعقل والشرع والحس.
٢- الإيمان بربوبيته: وأنّه هو الخالق وحده والرازق وحده والمدبر لشؤون عباده دون غيره.
٣- الإيمان بألوهيته: وأنّه المعبود بحقّ وما عُبد من دونه هو الباطل.
٤- الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه أو في سنّة نبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الركن الثاني من أركان الإيمان هو: **الإيمان بملائكته:**

الملائكة جمع مَلَك بفتح اللام لا بكسرها مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة.

وهم مخلوقات خلقها الله من نور، وهم عالم غيبي، جبلوا على الطاعة فليس لهم سبيل إلى المعصية، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

نؤمن بهم إجمالاً ومن سُمي منهم في الكتاب والسّنة نؤمن بهم على التفصيل.

وعددهم كثير لا يُحصيه إلّا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد ثبت في حديث الإسراء والمعراج أنّ البيت المعمور الذي في السماء السابعة يصلي فيه كلّ يومٍ سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه.

ونؤمن كذلك بأنّ لهؤلاء الملائكة أعمالاً يقومون بها، فجبريل عليه السلام مُوّكل بالوحي، وميكائيل بالقطر والنبات، وإسرافيل مُوّكل بالنفخ في الصور، ومَلَك الموت وأعوانه بقبض الأرواح، ومالكٌ خازن النّار، ورضوان خازن الجنّة، ومثل الملائكة الموكلة بالأجنّة في الأرحام، بأن تكتب أربعة أمور، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٍ أو سعيدٍ، والملائكة التي تحصي أعمال بني آدم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾، ومنهم من هو مُوّكل بحفظ بني آدم من الهوام والسباع، وهم ملائكة سخرهم الله لحفظ عباده، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، ومنهم كذلك الملائكة الموّكلة بسؤال الناس في قبورهم، والسؤال في القبر عن هذه الثلاثة الأصول، عن الرّب وعن الدين وعن الرّسول، ومنهم السيّاحون في الأرض يتتبعون مجالس العلم، ومنهم الموّكلون بحمل العرش وهنا لطيفة أنظر ماذا قال الله تعالى عن هؤلاء الذين يحملون العرش، وقلنا بأنّ العرش أعظم المخلوقات على الإطلاق، فلا يعلم عِظم هؤلاء الملائكة الذين يحملون هذا العرش إلّا الله ﷻ، وقد ورد في صفة جبريل، الروح الأمين وشديد القوى، أنّ النبي ﷺ رآه له ستمائة جناح قد غطى الأفق، هذا العرش هو سقف الجنّة ومنه تفجر أنهار الجنّة والله ﷻ على العرش استوى، وقلنا استوى، أي: علا وارتفع علواً وارتفاعاً يليق بعظمته ﷻ، قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾، هؤلاء الملائكة يستغفرون للذين آمنوا، فلذلك نحن نحبّهم فهم أنصح المخلوقات لعباد الله المؤمنين، ونسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن تستغفر لهم الملائكة.

وهناك من أنكر وجود الملائكة، ومن جحد وجودهم وأنكره كفر لأنّه لم يؤمن بالغيب الذي جاء في القرآن والسنّة، هذا الإيمان بالملائكة يمكن تلخيصه في أمورٍ أربعة:

١- الإيمان بوجودهم.
٢- الإيمان بمن علمنا اسمَه منهم، ومن لم نعلم اسمَه منهم آمنا به على وجه الإجمال.
٣- الإيمان بما علمنا من صفاتهم.
٤- الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

الركن الثالث: الإيمان بكتبه:

وهي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، مع كلّ رسولٍ كتابٌ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، فنؤمن بأنّ الله تكلم بها حقيقةً وأنزلها على رسله وحياً، نؤمن بما علمنا منها باسمه كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، ومالم نعلم اسمه آمنا به على وجه الإجمال، ونؤمن أنّ القرآن ناسخ لهذه الكتب جميعاً ومهيمن عليها، وأنّه يجب علينا العمل بما فيه.

الركن الرابع: الإيمان برسله:

الرسل جمع رسول، والرسول من البشر، أوحى الله إليه بشريعة وأمره بتبليغها، وليس لهم من الربوبية والألوهية شيء، فهم عِبادٌ لا يُعبدون ورسلٌ لا يُكذّبون، فلا إفراط ولا تفريط (نحن أمة وسط)، بخلاف اليهود والنصارى، فإنّ اليهود حصل منهم تفريط فكانوا يقتلون الأنبياء، والنصارى حصل منهم إفراط فعبدوهم من دون الله.

أول الرسل نوح عليه الصلاة السلام وآخرهم محمد ﷺ، والدليل على أنّ نوحاً أول الرُّسل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وكذلك ماورد في صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أنّ النبي ﷺ ذكر أنّ الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: **"ائتوا نوحاً أولُ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض"**، والدليل على أنّ محمداً ﷺ آخرهم قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

نؤمن بهم على وجه الإجمال وعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، أمّا الأنبياء فعددهم أكثر من ذلك، ونؤمن بمن سُمي منهم على وجه التفصيل (وهم خمسة وعشرون رسولاً ونبياً).

والرسول: هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وأمّا النبي: فهو من أُرسل تحت شريعة رسولٍ قبله، فعلى هذا يكون: كلّ رسولٍ نبي، وليس كلّ نبيٍ رسول، وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: **محمد / إبراهيم/ نوح/ موسى / عيسى** / عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بالرسل يتلخص في أمور أربعة وهي:

١- الإيمان بأنّ الله أرسلهم، فمن كذّب برسول واحد منهم كذّبهم جميعاً، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾، مع أنّهم كذبوا نوحاً فقط.
٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، والباقي على وجه الإجمال.
٣- تصديق ما صحّ من أخبارهم.
٤- العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم وهو محمد ﷺ.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

يوم القيامة سُمي باليوم الآخر لأنّه آخر الأيام فلا يومَ بعده، يومٌ مقداره خمسون ألف سنة، يومٌ تأتي فيه كلّ نفسٍ تجادل عن نفسها، يومٌ لا يَجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾.

يتضمن الإيمان باليوم الآخر ثلاثة أمور هي:

١- **الإيمان بالبعث:** أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، وفي الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: **"يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً"** ، حفاة غير منتعلين وعراة غير مستترين وغرلاص غير مختونين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

٢- **الإيمان بالحساب والجزاء:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

٣- **الإيمان بالجنّة والنّار:** وأنّهما الآن موجودتان وأنّهما لا تفنيان، الجنّة دار المتقين الأبرار، دار النعيم لها ثمانية أبواب، فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأمّا النّار فهي دار المجرمين الفجّار، دار العذاب والنكال، لها سبعة أبواب، ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

ويلحقُ الإيمانُ باليوم الآخر الإيمانُ بكلّ ما يكون بعد الموت ومن ذلك:

- سؤالُ الملكين العبدَ عن هذه الأصول، فيسألانه: عن الرّب وعن الدين وعن الرّسول.
- الإيمانُ بعذاب القبر ونعيمه، عذاب القبر للمجرمين الفجّار، ونعيم القبر للمتقين الأبرار، وهو ثابت بالكتاب والسنّة.
- وكذلك الإيمانُ بكلّ ما صحّ من أخبارٍ جملةً وتفصيلاً، كالإيمان بدنوّ الشمس على رؤوس العباد وتطاير الصّحف فآخذ كتابه باليمين وآخذ كتابه بالشمال من وراء الظهر، وكذلك وزن الأعمال، والصراط، والقنطرة، إلى دخول الجنّة أو دخول النّار، جعلنا الله من أهل الجنّة وأعاذنا من النّار.

آخر ركن وهو الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشرّه:

القَدر في اللغة: قدّرت الشيء، أُقدّره (إذا أحطت بمقداره)، وأمّا في الشرع: فهو ما قدّره الله في الأزل أن يكون في خلقه بناءً على علمه المسبق.

فتؤمن بكلّ ما يجري في هذا الكون من خيرٍ وشرٍ، من كفرٍ وإيمانٍ، من نعمةٍ ونقمةٍ، من رخاءٍ وشدّةٍ، من مرضٍ وصحةٍ، من حياةٍ وموتٍ، كلّ ذلك قضاء الله وقدره، ولم يكن ليحدث صدفة.

هذا الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربعة أمور وهي التي تُسمى بمراتب القدر، وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق.

١- **العلم:** أن تؤمن بأنّ الله ﷻ علِم الأشياء قبل كونها، وأنّه بكلّ شيء عليم، فعلم ﷻ ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون.

٢- **الكتابة:** وهي الإيمان بأنّ الله كتب مقادير كلّ شيءٍ قبل أن يخلُق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾، وفي الآية دليل على مرتبة العلم ومرتبة الخلق، وفي الحديث قال ﷺ: **"أولُ ما خلق الله القلم، قال: اكتب؟ قال: وما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة"** أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

٣- **المشيئة:** بأن تؤمن أنّ ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ولا شيء يخرج عن مشيئته ولا يقع شيء دون مشيئته وإرادته ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

٤- **الخلق:** بأن تؤمن أنّ الله خلق كلّ شيء، فالله ﷻ خلق المخلوقات وخلق أفعالها، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾.

هذه المراتب يجب الإيمان بها جميعاً ومن أخل بواحدة منها وجحدها لم يكن مؤمنا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر لم يكن مؤمناً، هذه المراتب جُمعت في بيت واحد يُسهّل حفظها:

علم كتابة مولانا مشيئته * وخلقه وهو إيجاد وتكوين.**

قال رحمه الله: **"والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾".**

أي: والدليل على أنّ هذه الاركانُ أركانٌ للايمان ولا يستقيم إيمان العبد إلّا بها جميعاً وإذا انتفى واحد منها انتفى الإيمان هذه الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله وهي في سورة البقرة.

البرّ: هو كلّ عملِ خيرٍ يُقرّب صاحبه إلى الله ويوصله إلى الجنّة.

وفي هذه الآية ردٌّ على اليهود الذين استنكروا تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فليس البرّ أن تولوا وجوهكم إلى جهة المشرق أو جهة المغرب من غير أمر من الله، لكنّ البرّ هو امتثال أمر الله تعالى.

وفي الآية ذكر خمساً من أركان الإيمان وهي: الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ودليل القدر قوله تعالى:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾".

وهذا دليل القدر، أي: أنّ كلّ شيء خلقه الله فإنّه مُقدّرٌ في علمه وكتابته ومشيئته وإرادته ﷻ، ولم يكن ليحدث صدفة أو عفوياً.

نتوقف إلى هنا والمجلس القادم بإذن الله ننتهي من الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام بالأدلة، فنسأل الله ﷻ أن يوفقنا للفقه في الدين وأن يرزقنا البصيرة واليقين والحمد لله ربّ العالمين.

المجلس التاسع من مجالس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين.

مضى معنا فيما سبق الحديث عن المرتبة الأولى والمرتبة الثانية من مراتب الدين، وعرَفنا أنّ المراد بالمرتبة الأولى: الإسلام بجميع أركانه الخمسة، والمراد بالمرتبة الثانية: الإيمان بجميع أركانه الستة، وفي هذه الليلة بإذن الله ﷻ معنا المرتبة الثالثة وهي مرتبة الإحسان، وبها تكتمل مراتب الدين، إذ هي: إسلام وإيمان وإحسان، وكلّ مرتبة من هذه المراتب لها أركان، وقد فصّلنا القول في مراتب الإسلام ومراتب الإيمان والحمد لله ربّ العالمين.

قال الشيخ محمدُ بنُ عبد الوهاب رحمه الله: **"المرتبة الثالثة: الإحسان".**

الإحسان في اللغة: مأخوذ من إتقان الشيء وإتمامِه، وهو: ضدُ القبح والإساءة.

والإحسان مع الإنسان: قال فيه الحسن البصري رحمه الله: هو **"بذل الندى وكفّ الأذى وطلاقة الوجه".**

بذل الندى: أي: إيصال الخير لهم بجميع أنواعه.

وكفّ الأذى: أي: أن تكف أذاك عن الخلق فلا تؤذي أحداً.

وطلاقة الوجه: أي: يكون متبسماً بشوشاً في وجوه إخوته، ولا يكن مقطباً عبوساً، فعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: **"لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طلقٍ"** رواه مسلم، هذا فيما يخص الإحسان مع الخلق.

أمّا الإحسان مع الله ﷻ وهو المقصود، فهو أن تأتي بالعبادة على وجهها الصحيح المتقَن، والذي يجمع بين كمال الإخلاص لله وحده لا شريك له وكمال المتابعة للنبي ﷺ، بهذا يكون العبد قد عبد الله كأنّه يرى الله فإن لم يكن يراه فإنّ الله ﷻ يراه.

قال رحمه الله: **"الإحسان ركنٌ واحد وهو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك".**

الإحسان كما سبق وقررنا أنّه أعلى مراتبِ الدين وأضيق الدوائر كما مثلنا فيما سبق، فكلُّ محسنٍ مؤمنٌ ومسلمٌ لا العكس، والإحسان أعمّ من حيث المعنى ففيه معنى الإسلام والإيمان وزيادة، ولكن من حيث أهله هو أخصّ، فالمحسنون الذين يصلون إلى هذه الدرجة هم نخبة من المؤمنين وليس جميعَ المؤمنين.

وهو ركن واحد، أي: شيء واحد فإنّ النبي ﷺ لم يذكر له أركاناً كما ذكر للإسلام وللإيمان، وتندرج تحته مرتبتين وهما:

- **مرتبة المشاهدة:** كأنك تراه، هذه هي المرتبة العليا، صار في عبادته حتى كأنّه يرى الله ﷻ وما حصل له ذلك إلّا من كمال إخلاصه و كمال متابعته للنبي ﷺ، وأثمرت هذه العبادة حبّاً وشوقاً لله ﷻ.
- **مرتبة المراقبة:** فإنّه يراك، وهذه المرتبة دون الأولى فصاحبها يكون مراقباً لله ﷻ، يعلم أنّه يراه فيخافُ أن يطلع عليه في غير مرضاته ﷻ.

قال رحمه الله: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾**"**.

هذا دليلُ المرتبةِ الأولى، مرتبة المشاهدة، فالله ﷻ مع المحسنين وهم الذين عبدوا الله كأنّهم يرونه ﷻ.

هؤلاء الذين اتقوا محارم الله والذين هم محسنون في عباداتهم، وعدهم الله ﷻ أنّه معهم معيّة خاصة: وهي معيةُ النصرة والتأييد والتوفيق، فينصرهم ويأيدهم ويوفقهم، ومن كان الله معه فإنّه لا يضيع ولا يمكن أن ينحرف ولا يخيب، لا في الدنيا ولافي البرزخ ولافي الآخرة، وعليه: من أراد أن يكون الله معه فليحسن في أعماله الظاهرة والباطنة أقوالها وأعمالها، لأنّ هذا وعدُ الله والله ﷻ يقول: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

والمعيّة معيتان عامة وخاصة.

العامة: هذه تشمل الخلق أجمعين، المؤمنَ والكافرَ البرَّ والفاجرَ، والله ﷻ مع كلّ عباده كافرِهم ومسلِمهم برّهم وفاجِرهم، فهو عليمٌ بأحوالهم، محيطٌ بهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أمّا المعيّة **الخاصة:** فهذه خاصة بعباد الله المؤمنين، من أدلتها الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله وكذلك ما قاله النبي ﷺ لأبي بكرٍ وهما في الغار، كما قال تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ فماذا حصل بعد أن كان الله معهما وقلنا فيما سبق أنّ المعية الخاصة هي معية النصرة والتأييد والتوفيق، قال الله ﷻ بعد ذلك: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾، وكذلك من هذه المعيّة قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾، فالله ﷻ مع عباده المتقين المحسنين بنصره وتأييده وتوفيقه وتسديده.

قال: **"وقوله تعالى:**﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾**"**.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: أي: فوّض أمورك، ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: وهو الله ﷻ.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: فهو يراك ﷻ حين تقوم للعبادة وللصلاة، وهذا محلّ الشاهد من الآية.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: وهو ﷻ يراك وأنت راكع وساجد، وهو الذي يراك في جميع أحوالك.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي: السميعُ لأقوالِ عباده العليمُ بأفعالهم ﷻ.

وهذه الآية دليل للمرتبة الثانية من مراتب الإحسان، مرتبة المراقبة وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ﴾.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾".**

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: هذا الخطاب للنبي ﷺ، فما من عملٍ أنت فيه من أعمال دينك ودنياك.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾: أي: ومن العمل الذي تكون فيه تلاوة القرآن، وخصّ تلاوة القرآن بالذّكر لشرف وفضل هذا العمل.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾: هذا الخطاب الآن للرسول ﷺ ولأمته جميعاً، فأيُّ عملٍ تعملونه من أعمال الخير أو من أعمال الشّر.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: أي: نراكم ونشاهدكم، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: وذلك حين تعملون هذا العمل.

وفي هذه الآية دليلٌ على المرتبة الثانية كذلك، فهو يرانا ويشاهدنا في أيِّ عملٍ نعمله سواء كان عملَ خيرٍ أو عملَ شرٍ.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك: **" والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ذات يومٍ، إذا طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: «يا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام» فقال رسولُ الله ﷺ: « الإِسْلاَمُ أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»، قال: «صَدَقْتَ». فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه ! قال: «فأخبرني عن الإيمان ؟»، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرْ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: «صدقت». قال: «فأخبرني عن الإحسان؟»، قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكْ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعة؟» قال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟» قال: «أَنْ تَلِدَ الأمة رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ »، ثُمّ انْطَلَق فَلَبِثْتُ مَلِياً، ثم قال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ».**

بعد أن فرغ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من سرد مراتب الدين والتي هي: الإسلامُ والإيمان والإحسان، وبيّن أركانَ كلِّ مرتبةٍ منها وذكر أدلة ذلك من القرآن، جاء على كلّ ما تقدم بدليل من السّنة أخرجه الإمام مسلم من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا الحديث يُعرف عند أهل العلم بحديث جبريل عليه السلام وهو حديث صحيح وهو مشهور، وهو ثاني حديث من أحاديث الأربعين النووية، وقد فصّل القول فيها أخونا الشيخ: أبو زيدٍ رياض عصنوني جزاه الله خيراً ونفع به.

هذا الحديث العظيم اعتنى به العلماء عناية خاصة وشرحوه، ولو شُرح شرحاً مفصلا لأتى شرحه في مجلدات ضخام فإنّه جمع علماً غزيراً، ونحن نقتصر على استنباط بعض الفوائد منه والله الموفق.

في هذا الحديث:

- حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الجلوس إلى النبي ﷺ لأخذ العلم، يؤخذ ذلك من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ"**.
- وكذلك تَمثُّل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة رجلٍ وكان كثيراً ما يتمثل في صورة الصحابي دِحْيَة الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- وفي قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرّفه منّا أحدٌ"** استغراب من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حقّاً أمرٌ غريب، فهو ليس من أهل المدينة، فلا أحد يعرفه من الصحابة، ولا يظهر عليه علامات السفر، فهو شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، والمسافر في ذلك الوقت يقتضي أن تتسخ ثيابه ويغبّر شعره، فليست صفاته بصفات المسافر وليس من أهل المدينة فيُعرف، وهذا الذي أثار الاستغراب.
- وفي جلسة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ أدب الطالب مع معلمه فقد اقترب منه جداً.
- وفي قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يا محمد**، زيادة تعميةٍ، لأنّ الأعراب كانوا إذا جاؤوا إلى النبي ﷺ ينادونه بيامحمد، وإلّا فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا ينادونه بيا رسول الله، وهذه غريبة أخرى من هذا الرجل الذي لم يعرفوه.
- وفي جواب النبي ﷺ له عن الإسلام وذِكر أركانه فقط تعليم للمعلم أن يقتصر على المفيد والضروري، لأنّ الجواب كلّما كان مختصراً كان أسهلَ على المستمع والمتعلم، ويسهُل حفظه ووعيه، بينما لو طالت الإجابة تشعب القول ولا يُستوعب حينئذ، وهذا حال العالم الرباني فإنّه يُعلّم صغار العلم قبل كباره وهذه التي تسمى اليوم بالمنهجية في التعليم.
- وفي قول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: **صدقت**، غريبة أخرى، فكيف للسائل أن يُصدق المسؤول، فإنّ أمر السائل يقتضي جهله، لذلك قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"فعجبنا له يسأله ويصدقه"**.
- وفي الحديث كذلك لمّا سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإسلام سأل كذلك عن الإيمان، وقلنا سابقاً بأنّ الإسلام والإيمان متلازمان ولا يغني أحدهما عن الآخر فهما من الأشياء المشتركة التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت.

إذا افترقا في الذكر وذُكر أحدهما دون الآخر، صارا بمعنى واحد (الأعمال الظاهرة والباطنة).

أمّا إذا اجتمعا في الذكر صار:

- الإيمان: هو الأعمال الباطنة.
- الإسلام: هو الأعمال الظاهرة.

قال رسول ﷺ: **"الإسلام علانية والإيمان في القلب"** أخرجه أحمد من حديث أنس ﷺ.

- ثم سأله عن الإحسان وقد تقدم قريباً وأنّه مرتبتين مرتبة المشاهدة ثم مرتبة المراقبة.
- وفي سؤال جبريلُ عليه السلام النبيَ ﷺ عن الساعة، وقوله ﷺ: **"ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"**، تعليمٌ لنا، فإذا كنت لا تعلم فقل: الله أعلم، وهذا ليس عيباً، وأمرُ الساعة لا يعلمه النبي ﷺ وهو أفضل البشر ولا يعلمه جبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة، فما دونهما من بابٍ أولى، فهي مما استأثر الله بعلمه، وفي رواية لهذا الحديث عند البخاري أنّ النبي ﷺ قال: **"في خمسٍ لا يعلّمهن إلّا الله** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾، وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾.
- وفي قول جبريل عليه السلام: **"فأخبرني عن أماراتها"**، أي: علاماتها التي تدلّ على قُرب قيامها، ومنها علامات كبرى ومنها علامات صغرى، والنبي ﷺ ذكر له علامتين من العلامات الصغرى.

أولاها: أن تلد الأمة ربتها.

قيل في معناها: يكثر التسري، وذلك بأن يتزوج الرّجلُ الأمةَ فتلد له فتكون ابنتُها حرّةً وتكون مالكة لأمّها.

وقد رجح الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري واستحسنه كثيراً أنّه كناية على كثرة العقوق حتى يصير الأولاد بمثابة الوالدين في معاملتهم لوالديهم وتحكمهم فيهم.

العلامة الثانية التي ذكرها النبي ﷺ لقرب الساعة: أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء وهؤلاء الأصل فيهم أنّهم أهل البادية الذين ينتقلون من مكان إلى آخر يسكنون المدن ويتطاولون في البنيان.

وصدق رسول الله ﷺ فنحن نرى ما قاله رأي العين.

- وفي قول الصحابة لمّا سألهم النبي ﷺ : **"أتدرون من السائل: قالوا: الله ورسوله أعلم"**، أدب الطالب في قول: الله أعلم وقد تقدم.

- وفي قوله ﷺ: "يعلمكم دينكم" جعلَ الإسلامَ والإيمان والإحسان هي الدّين كلُّه، فالدين ثلاث مراتب وكلّ مرتبة لها أركان.
- التعليم بطريقة السؤال والجواب وهي طريقة ناجحة وقد استعملها المؤلف رحمه الله في هذه الرسالة كما مرّ معنا في قوله: **"فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة؟"** وكقوله كذلك: **"فإذا قيل لك من ربك؟"**.
- ومن الفوائد المهمة قول: الله أعلم، وقد قالها الرسول ﷺ وقالها الصحابة كذلك.

وقد سُئل الإمام مالك رحمه الله عن ٤٠ مسألةً فأجاب على ست، وقال في الباقي: الله أعلم، فقال السائل: أنا جئت من كذا وكذا وسافرت وأتعبت نفسي وراحلتي وتقول لي: لا أدري.

قال مالك: اركب راحلتك واذهب إلى بلدك وقل لهم: سألت مالكاً وقال: لا أدري (فهذا ليس عيباً).

وكذلك النبي ﷺ كان كثيراً ما يسأل وينتظر الإجابة من الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾، وقال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾، أنت ترى ذلك جلياً في القرآن يأتي السؤال فينتظر النبي ﷺ الجواب من الله.

هذا الذي أرادنا بيانه وتوضيحه، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا ولو بالشيء اليسير في تقريب بعض الأمور، وبهذا نكون قد انتهينا وأتممنا الأصل الثاني من هذه الأصول الثلاثة وسيكون درسنا القادم إن شاء الله في آخر الأصول وهو معرفة النبي محمد ﷺ، نسأل الله أن ييسر ويعين، وجزاكم الله خيراً على صبركم وتحملكم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس العاشر من مجالس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى من تبعهم واقتفى سننهم وآثارهم إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فمجلسنا في هذه الليلة إن شاء الله هو المجلس العاشر من مجالس الأصول الثلاثة لشيخِ الإسلام، العالمِ الربّاني والمجددِ لما اندرس من معالم الدين الإسلامي: أبي عبد الله محمدٍ بنِ عبد الوهاب رحمه الله تعالى وجعل قبره روضة من رياض الجنّة، وجعلنا الله وإيّاه في الفردوس الأعلى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ".**

الأصل الثالث، أي: من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتُها والعملُ بها والدعوةُ إليها والصبرُ على الأذى في سبيل ذلك، وهذه الأصول هي: معرفة العبد ربّه ومعرفة دينِه ومعرفة نبيِه محمدٍ ﷺ، أمّا الأصل الأول والثاني فقد مرّا معنا بحمد الله، والآن معنا آخر الأصول وهو معرفة النبي ﷺ.

لمّا كان النبي ﷺ واسطة بين الله ﷻ وبين عباده في تبليغ دينه وشرعه الإسلام، ولاسبيل للإنسان أن يعرف الأصل الأول الذي هو معرفة الله ولا سبيل له كذلك لمعرفة الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام إلّا بالواسطة بيننا وبين الله ﷻ، فإنّه لا يمكن معرفة المرسِل إلّا بمعرفة المرسَل، من أجل ذلك صار لزاماً على العبد معرفة جملةٍ من العلم الذي ينبغي أن يحصله المسلم تجاه نبيه محمدٍ ﷺ، وإلّا كيف تتبع شخصاً وتقلده وأنت لا تعلم عنه شيئاً، ومن جملة هذا العلم الذي ينبغي معرفته تجاه النبي محمد ﷺ:

معرفة اسمه ونسبه، ومعرفة سنه، ومكان ولادته ومهاجره، ومعرفة حياته النبوية وسير دعوته ﷺ، وما هو دليل نبوته وماهو دليل رسالته ﷺ، وبماذا أُرسل ولماذا أُرسل وهذه أعظمها.

فحقيقةُ هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي ﷺ، فكيف بمن يشهد أنّ محمداً رسول الله، إذا قيل له: من محمد هذا؟ لم يعرفه، فإنّ شهادته هذه فيها خلل، فإنّ من عرف هذا الأصل بالقدر الواجب منه حَرِيٌّ أن يُوفقه الله للإجابة على سؤال القبر الثالث، ألا وهو: من نبيك؟

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وهو محمد بنُ عبد الله بنِ عبد المطلب بنِ هاشم، وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بنِ إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام".**

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأمر الأول وهو معرفة اسمه ونسبه ﷺ.

اسمه محمد وهو أفضل أسمائه ﷺ وبه سمّاه أهله وجاء ذكره بهذا الاسم في القرآن وذلك في أربعة مواضع.

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، وقال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾، وقال تعالى في سورة محمد: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾، وقال ﷻ في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الآية، لكنّ الله ﷻ يناديه كثيراً في القرآن بالرسالة والنبوة لتشريفه بهما فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.

و **محمد** معناه: الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره، أو: هو الذي كثرت خصاله التي يُحمد عليها، وهو علم مشتق من التحميد ولما فيه من الخصال الحميدة، وله أسماء أخرى كثيرة منها التي وردت في حديث عند البخاري ومسلم، قال فيه النبي ﷺ: **"إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ"**.

فذكر في هذا الحديث خمسة أسماء تقدم ذكر الاسم الأول منها وهو: محمد.

أمّا أحمد: فمعناه كثير المحامد، وقد ذُكر هذا الاسم في القرآن في قوله تعالى في بشارة المسيح عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

وأمّا الماحي: فهو الذي يمحو الله به الشرك.

وأمّا الحاشر: فهو الذي يُحشر الناس على إثره، فهو ﷺ آخرُ الأنبياء وبعده يكون الحشر والساعة.

وأمّا العاقب: فهو خاتَم النبيين، فلا يعقبه نبي.

ومن أسمائه كذلك: نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة (أي: الجهاد).

لقب ﷺ بالأمين، وأمّا كنيته فهو: أبو القاسم.

فهو: **محمد بنُ عبدِ الله بنِ عبد المطلب بنِ هاشم بنِ عبد مناف بنِ قصي بنِ كلاب بنِ مرّة بنِ كعب بنِ لؤي بنِ غالب بنِ فِهر بنِ مالك بنِ النّضر بنِ كِنانة بنِ خُزيمة بنِ مُدركة بنِ إلياس بنِ مُضر بنِ نَزار بنِ مَعَد بنِ عدنان**، إلى هنا هذا النسب متفق عليه ولا خلاف فيه البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، لكن لا خلاف بينهم أنّ عدنان من ولد إسماعيلَ ابنِ إبراهيمَ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

فأبوه عبد الله، وجدّه الأول: عبد المطلب، وجدّه الثاني: هاشم، وجدّه الثالث: عبد مناف.

فإنّ عبد مناف وهو الجد الثالث للنبي ﷺ كان: له أربعة أولاد وهم:

- **هاشم:** وهو الجد الثاني للرسول ﷺ (ومنه الهاشميون).
- **المطلب:** ومنه المطلبيون.
- **عبد شمس:** ومنهم عثمان بن عفان ﷺ وبنو أمية.
- **نوفل:** ومنهم جبير بن مطعم وحكيم بن حزام رضي الله عنهم.

وعبدُ المطلب بن هاشم الذي قلنا بأنّه جدّه الأول هذا ليس اسماً له، فإنّ اسمه شيبة، ويُقال له: شيبة الحمد، وذلك لجوده، وإنّما سُمي بعبدِ المطلب لأنّ عمّه المطلب بن عبدِ مناف جاء به من المدينة وهو صغيرٌ من عند أخواله بني النّجار، فلمّا رآه الناس أسوداً من السفر ظنّوا أنّه عبد مملوك للمطلب، فقالوا: عبد المطلب، فبقي هذا اسماً له.

هؤلاء من قريش، وقريش من أشرف قبائل العرب.

والعرب أقسام بائدة وعاربة ومستعربة.

- **العرب البائدة:** وهؤلاء الذين أهلكهم الله وهم: قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وشعيبٍ.
- **العرب العاربة:** وهم القحطانية، من حِمْيَر من اليمن، وهم أصل العرب.
- **العرب المستعربة:** وهم العدنانية، من ذرية إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهما السلام، سمُّوا مستعربة لأنّهم تعلموا العربية من العرب العاربة، فإنّه لمّا جاءت جُرهم ونزلوا مكّة وجدوا ماء زمزم، فطلبوا من هاجر أن تسمح لهم بأن يستقوا الماء فأذنت لهم، وإسماعيل وقتها كان رضيعاً، فتربى ونشأ وأخذ العربية من جُرهم (الذين هم: العرب العاربة)، وتزوج منهم، وجاءه ذرية تعلموا العربية ونشؤوا مع العرب، فصاروا عرباً مستعربة (الذين يُقال لهم: العدنانية) فصار لسانهم عربياً واضحاً، حتى قيل أكثر من العرب العاربة.

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾، وكذلك نبينا محمد ﷺ هو خليل الرحمن، والخلّة هي أعلى درجات المحبّة، وهي مرتبة وصفة لا تثبت إلّا لنبيين كريمين هما أفضل الأنبياء والمرسلين وهما نبينا محمد ﷺ ونبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وإبراهيم عليه السلام له إسماعيل وهو جد العرب العدنانية وله إسحاق وهو جد بني إسرائيل.

وجميع الأنبياء من ذرية إسحاقِ بنِ إبراهيم إلّا محمد ﷺ فهو من ذرية إسماعيلَ بنِ إبراهيم عليهم السلام.

فهو كما ترى خلاصة الخلاصة، فهو أشرف وأفضل وأطهر نسبٍ على الإطلاق

وإنّما كان أشرفَها لأنّه يشترك مع كلّ قبائل العرب في النسب، وأفضلها لأنّ نسبه ﷺ حوى خير البشر، وأطهرها لأنّ نسبه ﷺ من نكاح لا من سفاح.

وفي الحديث الذي رواه واثلةُ بنُ الأسقع عند مسلم، قال رسول الله ﷺ: **"إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"**، فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، فهو ﷺ اختاره الله ﷻ من أفضل ولد إسماعيل وهم كنانة، ومن أفضل كنانة قريشاً، ومن أفضل قريش وهم بني هاشم، وهو ﷺ أفضل بني هاشم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سفيان ﷺ وقصته مع هرقل، وسؤال هرقل له عن رسول الله ﷺ، فكان فيما سأله أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، إلى أن قال هرقل لأبي سفيان: سألتك عن نسبه فذكرت أنّه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها، أي: في أكرمها أحسابا.

ومن حِكم هذا النسب أنّ التفاخر بالأحساب والأنساب كان على أشدّه قبيل مبعث النبي ﷺ، فلو بُعث في نسبٍ وضيعٍ لكان هذا سبباً في ردّ دعوته من كثير من القبائل، فالله ﷻ اختار النبي ﷺ في هذا النسب ليعين الناس على قبول دعوته ﷺ، فلا يُمكن من كان هذا نسبه وهذا جاهه ومكانته أن يدعي النبوة ليبحث عن جاه ومكانة وشرف، فهو ﷺ ذو شرف وذو نسب وذو مكانة وجاه ﷺ، فنسبه كفيل برفعته ﷺ، ومن الحكم التي ذكروها أيضاً أنّ الله ﷻ أراد أن يرفع ذكر العرب، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾، فإنّ النبوة انقطعت عن العرب مدّة طويلة ارتفع فيها بنو إسرائيل زمناً طويلاً حتى تكبروا وقالوا: لن تخرج النبوة عن بني إسرائيل، فأرغم الله أنوفهم وجعلها في العرب

وهو ﷺ دعوة إبراهيم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾، وبشارة عيسى به قومه، قال الله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً".**

ولد ﷺ في يوم إثنين في ربيع الأول، ولم يثبت شيء في تاريخ ولادته ولم يثبت أنّه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول، وولد ﷺ عام الفيل، وذلك قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة، وهو العام الذي جاء فيه أبرهة ملك اليمن ومن معه لهدم الكعبة وقصة أصحاب الفيل مشهورة معروفة.

ولد عليه الصلاة والسلام على مقربة من الكعبة ولا يوجد تحديد ثابت يدلّ على مكان ولادته بالضبط.

أبوه: عبد الله، مات وهو حمل في بطن أمهِ آمنةُ بنتُ وهبٍ القرشية، فنشأ ﷺ يتيماً، وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب وأرضعته كذلك حليمة السعدية، ثم توفيت أمّه وهو ابن ستِّ سنين، فكفَله جدّه عبد المطلب، ولم يلبث أن توفي، فانتقلت كفالته إلى عمّه أبي طالب فلَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ ويَرفع مِنْ قَدره وَيُوقّره، وَيَكُفُّ عَنْهُ أَذَى قَوْمِهِ

تزوج رسول الله ﷺ خديجة قبل البعثة بسنين ومنها أولاده إلّا إبراهيم فإنّه من مارية.

عاش أربعين سنة قبل النبوة معروفاً بالأمانة والصدق والكرم وتجنب أعمال أهل الجاهلية من شرب الخمور وعبادة الأوثان وحُبب إليه الخلاء فكان يخرج إلى غار حراء ويتعبد الله فيه الأيام ذوات العدد على ملّة إبراهيم على التوحيد، فكان يعبد إلاها لا يعرف من هو ولا يعرف كيف يعبده، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾، وليس معنى ضالاً هنا: أنك تعمل أعمال أهل الضلال، وإنّما حائراً في كيفية عبادة الله، قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾.

ولمّا كان في سنّ الأربعين أُوحي إليه وصار نبياً رسولاً فإنّ هذا السّن هو الذي تكتمل فيه قوة الرجل، وهو سنّ اكتمال الأشد، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾، ولمّا قام يدعو إلى ما أمره الله به ازداد أذى قريش له وهو صابر محتسب وعمه أبو طالب يحميه ويدافع عنه، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وحُسن تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفِّي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثلاث سنين، وماتت بعده بيسير خديجة زوج النبي ﷺ، فسُمي عام الحزن، وبعد ذلك أَقْدَمَ عَلَيْهِ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وجُهالهم، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّته عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوه ونَصَرُوه وَحَاطُوهُ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَكِلَاءَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ.

عاش ﷺ ثلاثاً وعشرون سنةً نبياً رسولاً، منها ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكة وعشرَ سنينَ في المدينة بعد هجرته إليها ﷺ، ومات ﷺ وله من العمر ثلاث وستون سنة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "نُبئ بإقرأ، وأُرسل بالمدثر".

أخرج الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ (أي: العزلة لما كان يرى عليه قومه من عبادة الأوثان وسجود للأصنام)، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ (أي: يرجع إلى أهله)، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ (من أخذ ما يكفيه من مأكل ومشرب)، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ (أي: الوحي) وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: "فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي (أي: ضمني) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي (أي: أطلقني)، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾، "فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، بهذا صار ﷺ نبياً، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذه المرأةُ الصالحةُ أمُ المؤمنين التي اصطفاها الله ﷻ لنصرة نبيه ﷺ في بداية دعوته، فقد آزرته وناصرته وثبت الله نبيه ﷺ بهذه المرأة العاقلة، رضي الله عنها وأرضاها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» أي: غطوني، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ لأنّه ﷺ رأى مالم يره من قبل، فأصابه فزع وخوف شديد، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ فقال: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ (هذه المرأة الحكيمة العاقلة رضي الله عنها): كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العربي، ويَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِربيةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.

وانظر إلى خديجة وحكمتها وعقلها أخذت النبي ﷺ إلى عالم بهذه الأمور لم تأخذه إلى كاهن أو ساحر وإنّما ذهبت به إلى عالم وهو ورقة.

وورقة هذا هو وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، وقد اختلف أهل العلم في إثبات إسلامه وصحبته، عدّه في الصحابة غير واحد من أهل العلم، ورجّح إسلامه بهذا الحديث من المعاصرين ابنُ بازٍ وشيخ شيخنا الوادعي، وكذلك رجحه ابن عثيمين والفوزان، وذكرا أنّه صحابي، والله أعلم.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ (أي: الملك) الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا (أي: شاباً قوياً فأنصرك)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ:

نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ، (فكانت وفاة ورقة قبل نزول الوحي مرة أخرى).

وقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، وفي رواية: **«ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنِّي فَتْرَةً** (أي: انقطع فترة)، **فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»**، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **« فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا** (أي: خائفاً)، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، **«ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ»**. وهذا الحديث متفق عليه.

وبهذا أرسله الله ﷻ بمطلع سورة المدثر، وعلى قول المؤلف وهو قول مشهور عن أهل العلم، أنّ النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه فرسولٌ، لكنّ الله ﷻ لم يُفرق بين الرسول والنبي في التبليغ فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾، فكلٌّ من الرّسول والنّبي مُرسلان ومكلفان بالتبليغ، وكذلك الآيات الواردة في شأن العلماء الذين يكتمون العلم تتضمن وعيداً عظيماً، فكيف بالنّبي الذي يُوحى إليه فهو أولى بالتبليغ من العالم.

وقد سبق لنا وقررنا أنّ الصحيح والراجح أنّ: الرسول: هو من أوحي إليه بشرع مستقل، وأمّا النبي: فهو من أُرسل تحت شريعة رسولٍ قبله، فكلّ رسولٍ نبيٌّ لا العكس.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: **"وبلده مكة وهاجر إلى المدينة".**

وبها ولد ﷺ وعاش فيها أربعين سنة قبل النبوة وثلاث عشرة سنةً نبياً رسولاً.

ومكّة أحبّ البقاع إلى الله وزادها الله تشريفاً بمحمد ﷺ، ومن أسمائها بكةَ وأمُ القرى والبلدُ الأمين.

وهذا يدلك على أنّ الله ﷻ اختار لنبيه كلّ شيء، فهو أفضل البشر، من أفضل النسب، من أحبّ البقاع إلى الله مكّة، وأنزل عليه أفضل الكتب الذي هو القرآن، وأنزله في أعظم ليلة التي هي: ليلة القدر.

ثم هاجر إلى المدينة وله من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، ومكث فيها عشر سنين حتى توفاه الله ﷻ وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فدامت مدة رسالته ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد".**

الإنذار في اللغة: إعلام مع التخويف.

قدّم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ النذارة عن الشرك على الدعوة إلى التوحيد لأنّ هذا مدلول لا إله إلّا الله، النفي ثم الإثبات، فالتوحيد لا يصحّ ولا يُقبل مع وجود المنافي الذي هو الشرك، وهو دعاءُ غيرِ الله مع الله.

وهذا الواجب على الدعاة أتباع النبي ﷺ عليهم أن يركزوا على دعوة الناس إلى التوحيد ويحذروهم من الشرك وقد بقي النبي ﷺ على ذلك طيلة مُكثه في مكة ثلاث عشرة سنةً منها: ثلاثٌ مضت في الدعوة السرية وعشر سنين جهر بدعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولقي ما لقي وأوذي في سبيل الله صلوات ربي وسلامه عليه، فقد كان يقول لقومه: **"يا قوم قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا"**.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ **".**

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي شمِر على ساعد العزم وأنذر الناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: النداء للنبي ﷺ.

المدثر: أصلها المُتدثر، وأدغمت التاء في الدال، ومعنى المدّثر: الملتحف بثيابه، المتغشي بها من شدّة الرّعب الذي حصل له من رؤية الملَك عند نزول الوحي، لأنّه لمّا أصابه ﷺ الفزع والخوف، قال **"دثروني دثروني"** أي: غطوني، فأنزل الله عليه هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"ومعنى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد".**

قم: أمرٌ بالقيام، قم من دثارك فأنذرهم وحذرهم بجدٍ واجتهادٍ بعزمٍ وتصميمٍ، من عذاب ربّك إن لم يُؤمنوا، فحصل بهذا الإرسال كما سبق.

فأنذر: أي: أعلم قومك بحقيقة الشرك وخطورته وحذرهم منه، فالله ﷻ يأمر نبيه ﷺ أن يقوم بجدٍ ونشاطٍ وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه.

ثم قال: **"﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أي: عظمّه بالتوحيد".**

وذلك باعتقاد تفرده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وخصّ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعظيم الله بالتوحيد لأنّه أعظمُ ما أمر الله به، والأمرُ للنبي ﷺ أمرٌ لأمته، فهي تبع له في ذلك، فكلّ مكلفٍ من عالم الجنّ والإنس مأمورٌ بتوحيد الله ﷻ الذي يتجلى في أنواع التوحيد الثلاثة.

ثم قال: "﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك".

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: فسّر السلف الثياب هنا بتفسيرين:

- **الثياب المعنوية:** طهّر أعمالك عن الشرك والبدع والمعاصي فإنّها قذارة ووساخة للقلوب والأرواح، (وهذا الذي ذهب إليه الجمهور) والمؤلف رحمه الله مع الجمهور في هذا القول، وخصّ المؤلف تطهير الأعمال من الشرك لأنّه أعظم ما نهى الله عنه.
- **الثياب الحسية:** أمرَ الله نبيه أن يُطهر ثيابه من النجاسة.

ثم قال: "﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها".

الرّجز كما قال المصنف: الأصنام، وهجرها: تركها والابتعاد عنها، وأن يصاحب تركَها والابتعاد عنها تركُ أهلها والابتعاد عنهم، والتبرأُ منها وأهلَها، والبراءةُ هي الترك وزيادة.

يُطلق أحياناً الصنم على الوثن والوثن على الصنم.

لكنّ الوثن أعمّ من الصنم، (الوثن: ما عُبد من دون الله ولو لم يكن على صورة).

(الصنم: ما عُبد من دون الله على صورة، كصورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك).

ولا يلزم من أمرِ الله لنبيه ﷺ بترك الأصنام أنّه كان يعبدها، لكنّ النهي هنا للتحذير والتنفير، ومثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، فأمرَ الله هنا نبيه ﷺ بالازدياد من التقوى.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: ذُكر في تفسيرها عدّة معانٍ، ومنها الإشارة إلى الإكثار من الصدقة وحثٌ على الكرم والجود وعلى عدم المنّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾: أمرٌ من الله لرسوله ﷺ أن يحبس نفسه على طاعة الله وعن معاصيه، وأن يحبس نفسه على أقدار الله المؤلمة، ويكون ذلك بحبس اللسان عن التشكي وقلبَه عن التسخط.

ثم قال رحمه الله: "أخذ على هذا عشر سنين يدعوا إلى التوحيد".

لا يدعوا إلّا إلى التوحيد وينذر الناس عن الشرك، وهذا يدلّ على عِظم التوحيد لأنّه أصلُ الدين وأساسه وبه الفوز بالجنّة والنجاة من النّار، ولم يُؤمر بشيءٍ في هذه العشر (لا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولاحجّ) فالتوحيد التوحيد، وهذه دعوة الانبياء جميعاً من أولهم إلى آخرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، والله قد قصّ علينا قَصص المرسَلين لنعتبر بها ونعمل بها، فما من نبي ولا رسول إلّا

وقال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، والنبي ﷺ كان يقول لقومه: **"يا قوم قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا"**، وهذا رواه الإمام أحمد، ولمّا بَعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن ماذا قال له؟ قال: **"إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله"**، وفي رواية: **"أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله"**، فأساس دعوة النبيين جميعاً ودعوة محمد ﷺ خاتمهم هي التوحيد، لذلك يجب التركيزعلى التوحيد والعناية به دائما وأبداً، ودعوةُ الناس إليه وتعليمُ الناس إيّاه وأن يُبيَن لهم معنى التوحيد ومعنى الشرك.

قال رحمه الله: **"وبعد العشرعُرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكّة ثلاث سنين".**

هذه إلى الدرس القادم إن شاء الله، نسأل الله أن يبلغنا ذلك ونحن في أمن وعافية.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أمّا بعد:

فهذا المجلس قبل الأخير من مجالس شرح الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام: محمدٍ بنِ عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ وجزاه الله خير ما جزى عالماً عن أمته، ولا زلنا معكم في ذكر بعضٍ من سيرة النبي المختار، سيدِ الأولين والآخرين خاتمِ النبيين والمرسلين، خليلِ الرحمن: محمدٍ بنِ عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أفضلُ الناس وأطهرهُم نسباً، نشهد أنّه قد بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، صلوات الله وسلامه عليه، وكنا قد وصلنا إلى حادثة المعراج.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفُرضت عليه الصلوات الخمس".**

مكث ﷺ عشر سنين يدعو إلى: **لا إله إلا الله** ويُحذر الناس من الشرك بالله لعظيم، لا يدعو إلّا إلى ذلك، سرّاً وجهراً، ليلاً ونهاراً، وما ذلك إلّا لأنّ أعظمَ ما أمرَ الله به التوحيد، وأعظمَ ما نهى عنه الشرك.

وقبل الهجرة بثلاث سنين حدثت هذه المعجزة الإلهية التي خصّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها نبينا محمداً ﷺ، والإسراء ثابت بنصّ القرآن فقد ذكر في بداية سورة الإسراء عند قول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾، والمعراج ذُكر في بداية سورة النجم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾، وهو ثابت في السنّة كذلك، فقد أخرج هذه القصةَ البخاريُ ومسلمٌ في صحيحيهما في مواضع كثيرة وأخرجها غيرهم كذلك.

أمّا الإسراء: فهو السير ليلاً (وكان من مكة إلى بيت المقدس)، قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾.

وأمّا المعراج: فهو الصعود (وكان من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى)، ومن معانيه كذلك: آلة الصعود، وهي: السلم أو المرقاة، فيكون معنى المعراج: الليلة التي صُعد بالنبي ﷺ فيها على المعراج.

وأسري به ﷺ يقظةً لا مناماً وبروحه وجسده ﷺ، وهي من المعجزات التي خُصّ بها نبينا ﷺ كما ذكرنا.

فبينما هو عند الكعبة بين النائم واليقضان ﷺ أتته الملائكة فشقت ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم أُستخرج قلبه ومُلأ إيمانا وحكمة تهيئةً لما سيقوم به ﷺ.

ثم أُتى بدابة بيضاء (يُقال لها: البراق) فوق الحمار ودون البغل، هذا البراق يضع خُطوة عند منتهى طرفه، فركبه ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام حتى وصلا بيت المقدس، وكان الناس في ذلك الزمن يقطعون هذه المسافة في مدة شهر، لكنّ النبي ﷺ وجبريل عليه السلام على هذا البراق قطعوها في نحوِ ساعة من الزمن، فنزل هناك وربط هذه الدابة في حلقة باب بيت المقدس، وصلى النبيُ محمدٌ ﷺ بجميع الأنبياء والمرسلين إماماً، وكيفية ذلك أنّ هذا من الأمور الغيبية التي لا ينبغي السؤال عنها بكيف، ونحن والحمد لله أمةُ الإسلام، امتدحنا الله في أوائل سورة البقرة بالإيمان بالغيب، فصلى النبي ﷺ بجميع الأنبياء والمرسلين حقيقةً، وفي هذا فضل عظيم للنبي ﷺ وشرفٌ لأمته.

ثم عَرج (أي: صَعد) به جبريلُ عليه السلام إلى السماء الدنيا فوجد فيها: آدمَ عليه السلام، ثم صعد به إلى السماء الثانية فوجد فيها: يحيى وعيسى عليهما السلام، وهما ابنا خالة، كلٌّ منها ابن خالة الآخر، ثم صعد به إلى السماء الثالثة فوجد فيها: يوسفَ عليه السلام، ثم صعد به إلى السماء الرابعة فوجد فيها: إدريسَ عليه السلام، ثم صعد به إلى السماء الخامسة فوجد فيها: هارونَ بنَ عمران، أخو موسى عليهما السلام، ثم صعد به إلى السماء السادسة فوجد فيها: موسى عليه السلام، ثم صعد به إلى السماء السابعة فوجد فيها: إبراهيمَ عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وقد تقدم معنا ذكر البيت المعمور وأنّه يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملك يتعبدون الله فيه ويصلون ثم لا يعودون إليه، ويأتي كلَّ يومٍ غيرُهم من الملائكة الذين لا يُحصي عدَدَهم إلّا الله ﷻ.

وكلُّ سماءٍ محروسةٌ، لها حراس من الملائكة، وكلُّ سماءٍ يَستفتح جبريل، ويُقال له: من؟ فيقول جبريل، فيُقال: ومن معك؟ فيقول: محمد، فيُقال: وهل أرسل إليه؟ فيقول: نعم، فيُفتح، وكلُّ نبيٍ من الأنبياء يُسلم عليه ويقرّ بنبوته ﷺ.

آدم وإبراهيم قالا له: **مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح**.

وبقية الأنبياء قالوا: **مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح**.

ثم تجاوز إلى سدرة المنتهى بعد السبع الطباق، فغشيها من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحدٌ وصفها، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾، حتى وصل إلى مكانٍ يسمع فيه صريف الأقلام التي تكتب القدر، فكلّمه ربّه بدون واسطة، لكن لم يرّه على الصحيح، وإنّما كلّمه من وراء حجاب، لحديث أبي ذرٍ عند مسلم قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربّك؟ قال ﷺ: **"نورٌ أنّى أراه"**.

ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كلّ يومٍ وليلة، فرضي وسلّم ﷺ ثم نزل، فلمّا مرّ بموسى عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة قال له: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: **خمسين صلاةً في كلّ يوم**، فقال موسى: إنّ أمتك لا تُطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف لأمتك، فما زال يُراجع حتى خُففت إلى خمسٍ، وقال له موسى عليه السلام: اسأله التخفيف عن خمس، فقال ﷺ: **"لا، إني سألت ربي حتى استحييت"** فنادى منادٍ من السماء: **"أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي هنّ خمسٌ وهنّ خمسون، لا يُبدل القول لدي"**، خمسٌ في العدد وخمسون في الأجر، فضلاً من الله ورحمة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾، وهذا يدلّك كذلك على عِظم شأن الصلاة، فقد فرضت في السماء.

ثم نزل من السماء إلى بيت المقدس، ثم إنّه رجع إلى مكة في ليلته، فلمّا أصبح وأخبر الناس بذلك، ذهب المشركون إلى أبي بكر الصديق ﷺ، وظنّوا أنّه يكذبه، فقالوا: أنظر صاحبك ما قال؟ قال: وماذا قال؟ قالوا: يزعم أنّه ذُهب به إلى بيت المقدس وعُرج به إلى السماء وأنّه جاء، وهذا في ليلة واحدة.

فقال ﷺ: **إنّ كان قال فقد صدق**، قالوا: كيف ذلك، قال: **أنا أصدقه فيما هو أعظم من ذلك، أُصدقه في خبر السماء، فكيف لا أصدقه في الإسراء إلى بيت المقدس**.

قال الشيخ رحمه الله بعد ذلك: **"وصلى في مكّة ثلاث سنين"**.

صلى النبي ﷺ في مكّة ثلاث سنين قبل أن يُهاجر إلى المدينة، وكان ﷺ يُصلي الرباعية ركعتين، ولمّا هاجر إلى المدينة أُقرت صلاة السفر وزيد في الحَضر، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: **"فُرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً، وتُركت صلاة السّفر على الأولى"**.

ثم قال رحمه الله: **"وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة"**.

انتقل الشيخ رحمه الله هنا إلى الحديث عن هجرة النبي ﷺ، فإنّه لمّا اشتد أذى قريش وزاد شرّهم بالصّد عن سبيل الله ومضايقة المسلمين وتعذيب من ليس له جماعة تحميه.

كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل ويَعرض دعوته في موسم الحجّ، يذهب إليهم في منى ويدعوهم إلى الله، وصادف أن لقي أُناساً من الأنصار، أي: من أهل المدينة، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وقبِلوا دعوته ﷺ، ثم قدِموا إلى الحجّ من العام الذي بعده مع بعض قومهم، وكانوا **اثنا عشر** رجلاً من الأوس والخزرج، فأسلموا وبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى، وبَعث معهم مُصعب بنَ عمير يُقرؤهم القرآن ويعلمهم الإسلام، وفي العام الذي بعده في موسم الحج في ذي الحجة قبل الهجرة بثلاثة أشهر، جاء جماعة من الأنصار (وكانوا **ثلاثاً وسبعون** رجلاً وامرأتان)، وبايعوا النبي ﷺ على الإسلام وعلى أن ينصروه إذا هو هاجر إليهم، وأن يحموه

مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم، وهذه هي بيعة العقبة الثانية، فبعد هذه البيعة أمر النبي ﷺ من كان في مكة من المسلمين أن يُهاجر إلى المدينة، وبقي الرسول ﷺ وبعضَ أصحابه.

فلمّا علمت قريشٌ بالبيعة التي حصلت بين النبي ﷺ والأنصار وبهجرة الصحابة إلى المدينة خافوا أن يلحق النبي ﷺ بأصحابه في المدينة وتكون له قوةٌ وتكون له دولة، فتآمروا على قتله ﷺ، فاجتمع كبراء قريش في دار الندوة وتشاوروا في أمره، فأشار إليهم عدو الله أبو جهل، أن يأخذوا من كلّ قبيلة شاباً قوياً ويُعطى سيفاً صارماً ثم يعمدوا إلى محمد ويضربوه ضربة رجلٍ واحدٍ فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف (وهم عشيرة الرسول ﷺ) أن يحاربوا قومهم جميعاً فيرضون بالدية، لكن قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

في الليلة التي أرادوا تنفيذ مَكرهم وقَتل النبي ﷺ حاصروا البيت، ووقفوا عند الباب معهم أسلحتهم، فأخبر الله نبيه ﷺ وأذن له في الهجرة، فأمر النبيُ ﷺ علياً ﷺ أن ينام على فراشه، فإذا رآه المشركون ظنّوه الرسول ﷺ، وخرج النبيُ ﷺ من بينهم وهم لا يشعرون، فأعمى الله أبصارهم وذرّ الرسول ﷺ التراب على رؤوسهم وذهب إلى أبي بكر ﷺ، وخرجا فذهبا إلى غار ثور واختفيا فيه ثلاثة أيام، وقريشٌ تطلبه بأيّ وسيلة حياً أو ميتاً، وجعلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما ديتُه مائةً من الإبل، وكانوا يقفون على الغار ولو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرهم، ولكنّ الله كان معهم بحفظه ونصرته، وقد أشرنا إلى هذا عند ذِكرنا لأقسام المعيّة في المرتبة الثالثة من مراتب الدين، ألا وهي مرتبة الإحسان، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾، قال أبو بكر ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ: **"يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا"**، فلمّا يئست قريش من الحصول عليهم خرجا من الغار متجهين إلى المدينة، ولمّا سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كلّ يوم إلى الحرّة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ وصاحبه حتى تطردهم الشمس، ولمّا كان ذلك اليوم العظيم استقبل المسلمون رسولَ الله ﷺ بالسلاح يُبدون استعدادهم للجهاد والدفاع عنه ﷺ، فنزل ﷺ في بني عمرو بنِ عوف في قباء وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرقات، قال أبو بكر ﷺ: **خرج الناس حين قدِمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت، والغِلمان والخَدمُ يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.**

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام".

الهجرة: في اللغة: من الهجر وهو الترك.

وأمّا في الاصطلاح فهي كما عرّفها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

قال: "والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة".

الهجرة فريضة أي: واجبة على أمّة محمد ﷺ من بلد الشرك إلى بلد الإسلام،

وبلد الشرك الذي يجب على العبد أن يُهاجر منه ويتركَه هو: الذي تُقام فيه شعائر الكفر ولا تُقام فيه شعائر الإسلام من آذان وصلاة جمعة وجماعة وأعياد على وجه عامٍ شاملٍ، وهذا قيد مهم، قيدنا ذلك بأنّه على وجه عام شامل ليخرج ما تُقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور، فإنّ بعض بلاد الكفار فيها أقليات مسلمة، هذه الأقليات ربمّا تقيم بعض الشعائر لكن على وجه محصور ليس عاماً شاملاً، فإنّ مثل هذه البلاد لا تكون بلاد إسلامٍ بما تقيمه هذه الأقليات المسلمة من شعائر الإسلام.

وموطن الإنسان التي يستوطنها هي: البلاد التي يتمكن من إظهارِ دينِه فيها، فكلّ من لم يكن قادراً على إظهار دينه في وطن من الأوطان وكان قادراً على الهجرة إلى وطن يستطيع إظهار دينه فيه، فإنّ الهجرة في حقّه واجبة، ومن استطاع إظهار دينِه في بلد الشرك أُستحب له أن يُهاجر، وهذا ما ذهب إليه الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من أهل العلم.

فعلى هذا يمكن أن نقول: بأنّ الهجرة تنقسم إلى قسمين:

هجرة عامة: هذه التي ذُكرت وذكرها المؤلف بقوله: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، (أيُّ بلدٍ، فهو بلدٌ غير مخصوص)، وهذه تكون:

- **واجبة:** لمن لم يكن قادراً على إظهار دينه فيها وكان قادراً على الهجرة.
- **مستحبة:** لمن كان قادراً على إظهار دينه فيها.

هذه الهجرة بمفهومها العام هي التي لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، أي: هي باقية إلى قيام الساعة.

وأمّا القسم الثاني من أقسام الهجرة فهي:

هجرة خاصة: وهي الهجرة من مكّةَ إلى المدينة، وهذه كانت واجبةً لمّا كانت مكّةُ دار شركٍ زمن النبي ﷺ، فتركها النبي ﷺ وأمر أصحابه بالهجرة منها، هذه الهجرة الخاصة هي التي قال فيها النبي ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيّة، وإذا استنفرتم فانفروا" متفق عليه، أي: لا هجرة بعد فتح مكة لأنّها صارت دار إسلامٍ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "**والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: ملَك الموت وأعوانه، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: حال كونهم ظالمين لأنفسهم، ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ﴾ أي: قال لهم الملائكة على سبيل التوبيخ والإنكار: في أيّ الفريقين كنتم؟ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستضعاف هنا هو: عدم القدرة على إظهار الدين، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ وهذا دليلٌ على أنّ من لم يكن قادراً على إظهار دينه وكان مستضعفاً في بلد الكفر والشرك وكان قادراً على الهجرة وجبت عليه الهجرة إذا قدر عليها، فإنّ الملائكة توبخهم حال قبض أرواحهم وتقول لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾، ثم توعدهم الله ﷻ بقوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ توعدهم الله بالنّار كما توّعد أهل الكبائر، ثم استثنى الله طائفة بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ وهؤلاء الذين عذرهم الله ﷻ من الهجرة، وهم المستضعفون، والله ﷻ عذرهم لأنهم: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: فليس لهم حيلة والتي هي حسن التصرف، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يعرفون الطريق إلى بلد الإسلام، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ أي: أولئك الذين يعفو الله عنهم لا محالة، ووجه الدلالة من هذه الآية على وجوب الهجرة ظاهرٌ وذلك في التوعد بالنّار لمن تخلف عن الهجرة، فإنّه ترك واجباً عظيماً، وهو مرتكبٌ لكبيرةٍ من كبائر الذنوب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "**وقوله تعالى:** ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾".

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: فإذا كنتم مؤمنين حقاً فإنّ مقتضى الإيمان هو الهجرة حتى يتحقق الدين، ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي: وحدوني في أرضي الواسعة.

في هذه الآية أمرٌ بالهجرة في أرض الله الواسعة، وهذا دليل على وجوبها من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، فإذا لم تكن قادراً على إظهار دينك في أرض فانتقل منها واتركها إلى غيرها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "**قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يُهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان**".

البغوي: هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، صاحب التفسير وشرح السنّة وغيرهما، المُتوفى سنة خمسمائة وستَ عشرة ٥١٦ هـ، حكى هذا القول عن جماعة من التابعين، فأفاد أنّ تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنّه عاصٍ بتركها، فهو مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، عاصٍ من عصاة الموحدين المؤمنين، الذين توعدهم الله بالنّار كما توّعد أهل الكبائر.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والدليل على الهجرة من السنّة قوله ﷺ: "لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها".

هذا الحديث أخرجه أبو داودَ وأحمدُ من حديثِ معاويةَ بنِ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الإرواء، **لا تنقطعُ الهجرةُ:** أي: لا يسقط وجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام إلّا بانقطاع التوبة، ووقت انقطاع التوبة هو طلوع الشمس من مغربها وهذا يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، وهذا حدٌ عامٌ للتوبة وللتوبة حدٌ وزمنٌ خاص وهو الغرغرة، فإذا حضر العبدَ الموتُ فإنّه لا تنفعه توبة، فالهجرة لا تنقطع كما قدمنا فهي باقية في هذه الأمة إلى قيام الساعة.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "فلمّا استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثلَ: الزكاةِ والصومِ والحجّ والآذانِ والجهادِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ وغير ذلك من شرائع الإسلام".

الصلاة: فُرضت في مكّة ليلة المعراج وقد مرّ معنا ذلك، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

الزّكاة: قال أهل العلم أنّ أصل الزكاة فُرضت في مكة بدليل ذكر وجوبها في آياتٍ مكيةٍ كثيرة، لكنّ تفصيل أحكامها هو الذي فُرض في المدينة، في العام الثاني، وتفصيلها من أنصبتها ومصارفها.

الصيام: فُرض في السّنة الثانية للهجرة، **الحج:** فُرض في السّنة التاسعة على الصحيح.

وغيرُ ذلك من الشرائع كلُّها فرضت في المدينة، كالأذانِ وصلاةِ الجمعةِ والجماعةِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ والجهادِ وغيرِ ذلك، وهذا يفيدنا فائدة عظيمة، وهي: بيان عظيم قدر التوحيد، فقد بَدأ به النبي ﷺ دعوته ودعى إليه وحدَه عشر سنين، واستمر يدعو إليه بقيةَ دعوتِه وحياتِه، يدعوا قومه إلى: **لا إله إلّا الله**، وكذلك لمّا بعث معاذاً إلى اليمن قال له: "إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله"، وهذا منهج جميع الرّسل والأنبياء فأول ما يبدؤون به التوحيد، وقد تقدم مثل هذا الكلام كثيراً.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها تُوفي صلاة الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ".

بقي ﷺ عشر سنين في المدينة والشريعة تتنزل بالتدريج حتى تكاملت والحمد لله، وأنزل اللهُ قولَه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، ثم بدأه المرض ﷺ في آخر صفرٍ وأولِ ربيع الأول، وأمر أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يُصلي بالناس، فلمّا كان اليوم **الثاني عشر** أو **الثالث عشر** من ربيع الأول من العام **الحادي عشر** توفي ﷺ، وكانت موته ﷺ أعظمُ المصائب على الإطلاق، وأثّر ذلك في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تأثيراً بالغاً حتى إنّ بعض الصحابة لم يُصدق بموته ﷺ، ومنهم الفاروق عمرُ بنُ الخطاب، الخليفة الراشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى جاء الصديقُ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان رجلاً مسدداً موفقاً ثابتاً في مواطن الأزمات والكروب، فدخل

على النبي ﷺ وقبّله وقال قولته التي حفظتها وثائق التأريخ: **"طبت حيّاً وميتا"**، وخرج إلى الناس وهم مضطربون فقال: **"أيها الناس: من كان يُعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يَعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت"** أخرجه البخاري، فحينها أيقن الصحابة بوفاة رسول الله ﷺ، ودينه ﷺ باقٍ إلى يوم القيامة.

قال رحمه الله: **"وهذا دينه لا خير إلّا دلّ الأمة عليه، ولا شرَّ إلّا حذرها منه".**

قال أبو ذر رضي الله عنه: **"لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائرٍ يُقلب جناحيه في الهواء إلّا ذكر لنا منه علماً"** أخرجه أحمد، وفي صحيح مسلم قيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كلّ شيء حتى الخراءة؟ قال سلمان: **"أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلّ من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم"**، وفي الحديثان دليل على أنّ النبي ﷺ بيّن لنا كلّ شيء.

قال رحمه الله: **"والخير الذي دلّها عليه: التوحيد وجميع ما يُحبّه الله ويرضاه، والشّر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يَكرهه الله ويأباه".**

أعظم الخير على الإطلاق التوحيد، وأعظم الشرّ الذي نهى عنه الشرك على الإطلاق وقد تقدم بيان ذلك.

ويدلّ على هذا قوله ﷺ: **"إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلّا كان حقاً أن يدلّ أمته على خيرِ ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم"** رواه مسلم، وكذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

قال رحمه الله: **"بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجنّ والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾".**

طاعته ﷺ واجبةٌ، وهي طاعةٌ لله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وفي الآية التي استدلّ بها الشيخ رحمه الله دليلٌ على عموم شريعة النبي ﷺ الذي أشار إليه رحمه الله بقوله: **بعثه الله إلى الناس كافة**، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، ومن السنة قوله ﷺ: **"أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي"** ومن هذه الخمس: **"وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى النّاس كافة"**، وهذا أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه، فالواجب على الجميع، من يهودٍ ونصارى ومجوسٍ وغيرهم اتباعُ دينِ محمدٍ ﷺ، قال ﷺ: **"والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلت به إلّا كان من أصحاب**

النّار" رواه مسلم، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾، فمن أطاعه دخل الجنّة، ومن عصاه دخل النّار، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

ثم قال رحمه الله: "**وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾".

فدين الله كامل، والكامل لا يقبل أن نزيد فيه، وكلُّ من زاد في الدين كانت زيادته محدثةً بدعةً، قال ﷺ: "**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ**"، متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال ﷺ: "**وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار**"، قال ابن مسعود رضي الله عنه: **اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**، هذا الدين صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكان، وهو شامل لمصالح العباد كلِّهم إلى يوم القيامة فلا حاجة إلى الزيادة فيه فإنّ هذا استدراك على الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: "**لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلُها ونهارُها سواء**"، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: **صدق والله رسول الله ﷺ، "تركنا واللهِ على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء"**، أمّا الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله على إكمال الله لنا الدين فهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، نزلت هذه الآية والنبي ﷺ واقف بعرفة في حجّة الوداع في يوم الجمعة قبل موت النبي ﷺ بأشهر قليلة.

قال: "**والدليل على موته ﷺ قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾".

لمّا أكمل الله الدين وأتمّ النعمة بالنبي ﷺ توفّاه الله إليه بعدما خيّره ملَك الموت بين الحياة والموت، فكان آخر ما قال ﷺ: "**اللهم الرفيق الأعلى**"، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾، وهو ﷺ داخل في هذا العموم، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِي مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾، فالنبي ﷺ ومن أُرسل إليهم ميّتون وأنّهم سيختصمون يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أتباعه صدقاً وحقّاً ويدخلنا معه جنّة الفردوس برحمته وفضله، إلى هنا انتهى الشيخ رحمه الله من بيان الأصل الثالث المتعلق بنبينا محمدٍ ﷺ، آخر درس سيكون في الخاتمة التي ختم بها الشيخ رحمه الله هذه الرسالة المباركة التي نفع الله بها خلقاً كثيراً.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المجلس الثاني عشر والأخير من مجالس شرح الأصول الثلاثة

الحمد لله ربّ العالمين وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، أمّا بعد:

فهذا المجلس الثاني عشر من مجالس شرح الأصول الثلاثة لشيخِ الإسلام محمدِ بنِ عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو آخر درس في هذه السلسلة التي نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها، وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين والبصيرة واليقين، إنّ ربي سميع قريب، مجيب دعوة الداع إذا دعاه.

بعد أن فرغ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من بيان الأصول الثلاثة، بدأ بذكر بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة تكون كالخاتمة لهذه الرسالة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى:** ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾".

ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الخاتمة بمسألة الإيمان بالبعث بعد الموت، فإنّ كلّ الناسَ مسلمين وكفار، يؤمنون بالموت لأنّه حقٌّ مشاهد، لكنّ الشأن كلّه في البعث بعد الموت، وهذا هو الفرق بين المسلمين والكفّار، إعادة الأجسام التي تفتت وصارت تراباً وتفرقت في الأرض إلى ما كانت عليه، فإنّ الذي خلقها أول مرّةٍ من العدم قادرٌ على جمعها وإعادة بعثها، ثم تنفخ فيها الأرواح وتسير إلى أرض المحشر.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾، والأجداث هي القبور، وقال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾.

فهذا البعث حقٌّ لا شكّ فيه والإيمان به واجب ولا يتخلف عنه أحد، وهو ركن من أركان الإيمان الستة التي مرّت معنا، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه، وقد فصّلنا القول فيها بحمد الله وتوفيقه.

استدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على أنّ الناس إذا ماتوا يبعثون بقوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾.

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: الخطاب في الآية موجه للأمة جميعاً، والضمير في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ يعود إلى الأرض، فالمعنى من الأرض مبدؤكم، وذلك أنّ أبيكم آدم خُلق من تراب، في الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: **"إنّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود، و بين ذلك، و السهل و الحزن، و الخبيث و الطيب".**

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: نعيدكم في الأرض، وذلك بالدفن في القبور بعد الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: هذا الإخراج من الأرض بالبعث يوم القيامة للجزاء على العمل.

واستدل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كذلك بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾.

﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: حينما خلق آدم من الأرض وذريته منه عليه السلام.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بالدفن بعد الموت.

﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾: وهو البعث من القبور.

وهذه الآية مطابقة لما قبلها تماماً، والآيات في هذا المعنى كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾، ومن الأدلة العقلية من القرآن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾، ومن الأدلة كذلك ما يحصل للأرض من الحياة بعد الموت، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾، ومن الأدلة كذلك أنّه لو لم يكن بعث للزم أن يكون خلق الناس عبثاً، فاقتضت حكمة الله أن يجازي المؤمنين ويعاقب الكافرين، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ۝٣١﴾"**.

معنى ذلك أنّ الناس بعد البعث مجزيون ومحاسبون بسبب أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ لم يذكر نوع العذاب للمبالغة في الدلالة على شدّته.

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ۝٣١﴾ هنا ذكر نوع الثواب فإنّ الحسنى التي يجزي الله بها الذين أحسنوا هي الجنّة.

فالكل مجازىً على عمله، وهذا يحث العبد على عمل الخيرات التي يُثقّل بها موازينه يوم القيامة ويفوز بالجنّة وينجو من النّار، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾.

وحساب المسلمين يوم القيامة على أقسام:

- **فمنهم من لا يُحاسب:** وهؤلاء يدخلون الجنّة بلا حساب ولا عذاب (يدخلون الجنّة مباشرة)، دليل ذلك حديث السبعين ألفا الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربّهم يتوكلون، والحديث عند البخاري ومسلم.
- **ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا:** وهؤلاء يُحاسبون حساب عرض لا مناقشة، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾.
- **ومنهم من يحاسب ويناقش الحساب:** وهذا على خطر، لقوله ﷺ: **"من نُوقش الحساب عُذّب"** متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

أمّا الكفار فقد اختلف أهل العلم فيهم، هل يحاسبون أم لا؟

ثم توزن أعمال العباد بالميزان، والميزان ميزان حقيقي له كفتان، توضع الحسنات في كِفّة والسيئات في كِفّة.

قال الله تعالى: "﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾، فمن رجحت حسناتُه سيئاتِه فهو من المفلحين ومن رجحت سيئاتُه بحسناتِه فقد خاب وخسر، نسأل الله السلامة والعافية.

ثم قال رحمه الله: **"ومن كذّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾".**

من يُكذب بالبعث بعد الموت فهو كافرٌ لأنّه أنكر ركناً من أركان الإيمان الستة السابقة الذكر، ولأنّه مكذب لله ولرسوله ﷺ ومُكذب لإجماع المسلمين، والشيخ رحمه الله استدل بآية التغابن، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾، وفي الآية دليل على المسألة الأولى المتقدمة مسألة البعث، والمسألة الثانية: مسألة الحساب والجزاء على الأعمال.

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: زعم أي: اعتقد، وتستعمل في الغالب في الاعتقادات الباطلة.

﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ﴾ أي: زعموا أن لن يَحيوا بعد أن يموتوا.

﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾، في الآية أمرٌ من الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يُقسم به على البعث، وجاء هذا القسم مُؤكدٌ بمؤكدات وهي: (أسلوب القسم واللام الموطئة للقسم ونون التوكيد) ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾، ثم الجزاء على العمل بعد هذا البعث في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾: سهل وهين عليه ﷻ، قال في آية أخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ووجه دلالة الآية أنّ الله ﷻ ذكر الذين يزعمون أنّهم لن يُبعثوا، ووصفهم بالكفر، فوصفهم بالكفر جعلنا نحكم على من كذّب بالبعث بالكفر.

وكان المشركون زمن النبي ﷺ وقبل زمن النبي ﷺ يجادلون بهذه المسألة، مسألة البعث بعد الموت، فمن أقوالهم الفاجرة الظالمة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾، فردّ الله باطلهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾، ومن أقوالهم: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠﴾، وقال تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾.

ثم قال رحمه الله: **"وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾".**

الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة وقد سبق أن فصلنا القول فيه، وفي هذه الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله بيان وظيفة المرسلين وهي:

البشارة: لأتباعهم الذين آمنوا برسالاتهم واستجابوا لدعوتهم، يبشرونهم بالجنّة.

النذارة: لأعداء الله وأعداء رُسله وأعداء عباد الله الموحدين ممن كذّب دعوة الرّسل وأعرض عن رسالاتهم، فإنّهم ينذرونهم بالنّار.

إقامة الحجة: على من بلغته المحجّة.

البشارة والنذارة في قوله تعالى في الآية: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وأمّا إقامة الحجة ففي قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾.

والرّسل جمع رسول، وهو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل على أنّ أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾".

كان الناس على التوحيد وعلى عبادة الله ﷻ منذ أن أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض إلى عشرة قرون، فلمّا كان قومُ نوحٍ كان فيهم رجالٌ صالحون، فلمّا مات هؤلاء الصالحون حزنوا عليهم حزناً شديداً، فانتهز الشيطان الفرصة وأوحى إليهم أن صوّروا صور هؤلاء الصالحين وانصبوها على مجالسكم فإذا رأيتموهم تتذكرون أحوالهم وتنشطون في العبادة، ففعلوا ولم تُعبد في أول الأمر، حتى ذهب ذلك الجيل وخلفه جيل آخر وقد مات علماؤهم، جاء إليهم الشيطان مرّة أخرى، وقال لهم: إنّ آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلّا لعبادتها، وبها كانوا يُسقون المطر، وزين لهم عبادتها من دون الله فعبدوها، فهذا أول شركٍ حدث في الأرض، فبعث الله ﷻ نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى الله ﷻ ويبين لهم أنّ هذا شركٌ ويرُدهم إلى التوحيد الذي هو دين أبيهم آدم عليه السلام لكنّهم عاندوا واستكبروا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾، قال ابنُ عباس رضي الله عنه: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين صوروا صورهم ونصبوها على مجالسهم، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوها من دون الله.

قال هؤلاء المشركون: لا تتركوا آلهتكم ولا تتركوا عبادة هؤلاء الصالحين.

فمن هنا تعلم سبب تغليظ النبي ﷺ في التحذير من التصوير، قال رسول الله ﷺ: **"إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون"** متفق عليه، وقال ﷺ: **"إنّ الذين يصنعون هذه الصور يُعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم"** متفق عليه، فيُؤمرون بنفخ الروح في هذه الصور من باب التعجيز لهم.

واستحقوا هذا الوعيد لأنّ التصوير وسيلة من وسائل الشرك كما حصل مع قوم نوح عليه السلام.

فأولُ رسولٍ في هذه الأرض هو نوحٌ عليه الصلاة والسلام بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: الخطاب للنبي محمد ﷺ، ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾: فالنبيون من بعده، فلا نبي قبله، ويدلّ على ذلك حديث الشفاعة في الصحيحين: فإنّ الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: **"أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض"**.

وآخر الرسل محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾، قال ﷺ: **"أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"**، أخرجه أبو داود والترمذي من حديث ثوبان.

فلا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذبٌ كافرٌ، ومن صدّقه فهو كافرٌ مثله، وقد ادعاها بعده خلقٌ كثير آخرهم غلام أحمد القادياني الهندي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وكلّ أمّة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾".

كلّ أمة من الناس بعث الله إليها رسولاً ليقيم عليهم الحجّة، ورحمة بهم كي لايقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم هي دعوة الناس إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتحذيرهم من الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

اجتنبوا الطاغوت: اجتنبوا عبادة الأوثان والأصنام والقبور وغيرها.

وفي الآية تفسير للإله إلّا الله كما مرّ معنا، ففيها الأمر بعبادة الله وحده وعدمَ الإشراكِ بهِ غيرَه. (نفي وإثبات).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، فأصل دعوة الرّسل جميعاً دعوة الناس إلى توحيد ربّ العالمين ونهيهم عن الشرك، ثم بعد ذلك تأتي الشرائع من حلال وحرام.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله".**

أي: أنّ التوحيد لا يتحقق إلّا بالإيمان بالله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت، وهذا معنى **لا إله إلا الله**، فإنّها لا تتحقق إلّا بركنيا معاً النفي والإثبات.

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وجوب الإيمان به والكفر بالطاغوت في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، وقال تعالى مخبراً عن حال اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾، وقال تعالى عن المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ۖ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾.

هذه الآيات تقودنا إلى القول: ما هو الطاغوت لكي نجتنبه؟

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ"".**

ابن القيم هو الإمام: محمدُ بنُ أبي بكر بنِ أيوب الزّرعي الدِمشقي، المعروف بابن القيم الجوزية، صاحب التصانيف المشهورة، تلميذ شيخ الاسلام ابنِ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، المُتوفى سنة: سبعمائة وإحدى وخمسين.

الطاغوت: مأخوذ من الطغيان.

والطاغوت في اللغة: هو مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾، أي: لمّا زاد الماء عن حدّه حملناكم في السفينة.

وأمّا في اصطلاح العلماء: فأحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو الذي نقله الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: **ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.**

المعبود: سواء كان شجراً أو حجراً أو ولياً أو عالماً لكن بشرط أن يكون راضياً بعبادة الناس له أو يدعو الناس إلى عبادة نفسه.

وأمّا المتبوع: فإنّ الواجب اتباعَ النبي ﷺ، فمن اتبع علماء السوء في تحليل الحرام وتحريم الحلال فإنّه طاغوت جاوز حدّه.

وأمّا المطاع: الواجب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة ولاة الأمر في طاعة الله ورسوله، فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة ولا ننزع يداً من طاعة.

فمن أطاعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال فإنّه مجاوزٌ للحد وهو طاغوت.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا تأملت طواغيت العالم فاذا هي لا تخرج عن هذه الثلاثة (المعبود والمتبوع والمطاع).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله".**

الطواغيت: جمع طاغوت وقد تقدم تعريفه.

هؤلاء الطواغيت الذين ينطبق عليهم تعريف الطاغوت المتقدم: ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاعٍ كثيرون، لكنّ رؤوسهم وأكابرهم وزعماؤهم خمسةٌ وهم:

إبليس: اللعين المطرودِ من رحمةِ أرحم الراحمين، وابليس هو: الشيطان الرجيم، رأس الكفر ومصدر الشّر، الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾، هذا هو رأس الطواغيت الأكبر نعوذ بالله منه.

ومن عُبد وهو راض: أي: من عبده الناس وهو راضٍ بفعلهم وعبادتهم له، هذا من رؤوس الطواغيت، أمّا من عُبد وهو غير راضٍ بذلك فلا يدخل في هذا.

ولا يدخل في ذلك عيسى عليه السلام فإنّه عُبد من دون الله ولا يزال يُعبد لكنّه عليه السلام غير راضٍ بعبادتهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

ولا يدخل في ذلك عليٌ ﷺ الخليفة الراشد، فإنّه لمّا قال له من قال: أنت هو، قال: من هو؟ قالوا: أنت الله، فإنه ﷺ خدّ لهم الأخاديد وأحرقهم بالنّار ولم يرض بصنيعهم، فإنّه ﷺ عُبد ولا زالت تعبده الرافضة لكنّه ﷺ غير راضٍ بعبادتهم وما صنيعه بهم إلّا دليل على غير رضاه.

قال علي ﷺ: **لمّا رأيت الأمر أمراً منكراً *** أججت ناري ودعوت قنبرا .** وقنبرا: هذا خادم لعلي ﷺ.

من دعا الناس إلى عبادة نفسه: مثال ذلك فرعون الذي قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾، ومثل غلاة الصوفية فإنّهم يَدعُون الناس إلى عبادة أنفسهم عياذا بالله، وهؤلاء من رؤوس الطواغيت، وسواءً أجيبوا أم لم يجابوا.

من ادعى شيئا من علم الغيب: وهذا يدخل فيه السحرة والمنجمون والكهان وأضرابهم، كلّ من ادعى شيئا من علم الغيب، كلّ من يقول للناس: سيحصل لكم كذا وكذا من باب معرفة الغيب فإنّه طاغوت.

الغيب: هو ما غاب على الإنسان، وهو نوعان:

واقع: وهذا يكون غيباً لشخص لكنّه معلوماً لآخر، فما يحدث في مكان آخر بعيدٍ عنك، هذا غيبٌ بالنسبة لك، لكن من هو في عين هذا المكان لا يكون غيباً بالنسبة له.

المستقبل: هذا لا يكون معلوماً لأحد إلّا الله وحده أو من أطلعه الله عليه من الرسل.

فمن ادعى علم الغيب المستقبل فهو كافرٌ مكذب لله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾، ونقول لهؤلاء الصوفية والسحرة والمشعوذين كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟

إن قالوا: نحن أشرف من الرسول كفروا بهذا القول، وأنّى لهم أن يقولوا هذا.

وإن قالوا: الرسول أشرف فنقول لهم: لماذا لا يعلم هو الغيب وتعلمونه؟

قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾، وقد أمر الله نبيه أن يقول للملأ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾.

من حكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بما أنزل الله في كتابه أو في سنّة نبيه ﷺ أمره عظيم، وهو من توحيد الربوبية، فإنّه تطبيقٌ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته ﷻ، لهذا سمّى الله المتبوعين بغير حق أرباباً، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾، فسمى الله المتبوعين أرباباً حيث جُعلوا مشرعين مع الله، وسمّى المتبِعين عباداً حيث أنّهم قد ذلّوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله.

وعن عدي بن حاتم : أنّه سمع النبي ﷺ يقرأ بهذه الآية : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، قال عدي بن حاتم: إنّا لسنا نعبدهم، فقال رسول الله ﷺ: **"أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه ويُحلّون ما حرّم الله فتحلونه"** قال عدي: بلى، قال رسول الله ﷺ: **"فتلك عبادتهم"**، هذا الحديث يفسر لنا المعنى المراد من الآية وكيف أنّهم اتخذوهم أرباباً من دون الله.

والأدلة على وجوب الحكم بما أنزل الله كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾.

وتفصيل القول في الحكم بغير ما أنزل الله، والذي قال به أئمة السلف وعلى رأسهم: ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ومجاهد وطاوس أنّه:

- إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أنّ الحكم بما أنزل الله لا ينفع أو أنّ الحكم بغيره أفضل أو أنّه مساوٍ له أو أنّ حكم الله لا يصلح لهذا الزمن أو يعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله فهذا يكون كفره كفراً أكبر مخرج من دائرة الإسلام.
- وأمّا إذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أنّ حكم الله أفضل وهو الصحيح وأنّ غيره باطل وأنّ الحكم بغيره غير جائز وأنّ حكم الله هو الواجب لكن غلبته نفسه وشهوته أو حكم بغير ما أنزل الله لرشوة، فمثل هذا يكون كفره كفراً أصغر، لا يُخرجه عن دائرة الإسلام لكنّ صاحبه على خطر عظيم.

وهذه المسألة مسألة عظيمة تعلقت بها فرقة ضالة وهي فرقة الخوارج فكفرّت الحكام بداعي الحكم بغير ما أنزل الله، هكذا من غير تفصيل، رادين كلام السلف الصالحين والعلماء العاملين، وكفروا من تحت إمرتهم بمسألة التولي، وبعدها خرجوا على أمة الإسلام بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعاثوا في الأرض فساداً ولم تجن الأمة الإسلامية منهم إلّا الويلات والنكبات، لكنّهم لا يَعتبرون، فتراهم مستمسكين بغيّهم وباطلهم، وما زالوا يأزون أتباعهم أزاً، وإلى جهنم يقودونهم وِرداً، والله ﷻ نسأل أن يكفي الأمة شرّهم وأن يرد كيدهم في نحورهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾، وهذا هو معنى: لا إله إلّا الله".**

أي: والدليل على وجوب الإيمان بالله وحده والكفرِ بالطاغوت هذه الآية.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: فلا يُكره على الدخول في الإسلام أحدٌ لأنّ الدخول فيه يجب أن يكون عن قناعة، فنحن ندعو للإسلام ونبين للناس والهداية بيد الله وحده، لكن من أصر على الكفر من أهل الكتاب يُطلب منه دفع الجزية فإن أبى فإنّه يُقاتل.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾: قد تبين الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال، بالآيات الواضحات والبراهين الجليات.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، والطاغوت هنا تشمل جميع الطواغيت في العبادة والاتباع والطاعة، كلّهم يجب الكفرُ بهم والإيمانُ بالله وحده، فلا إيمان بالله دون الكفر بالطاغوت، وهذا معنى **لا إله إلّا الله** كما قال ذلك المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذه هي التخلية قبل التحلية (فإنّ من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت).

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ العروة الوثقى هي: التوحيد، الإسلام الحق، الإسلام الذي أُرسلت لأجله الرّسل وأُنزلت لأجله الكتب وقامت لأجله سوق الجنّة والنّار، وهو الدين الذي لا يَقبل الله من أحدٍ سواه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **"وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذِروة سَنامه الجهاد في سبيل الله""".**

هذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وهو ضعيف فلا يُستدل به، راجع جامع العلوم والحكم لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد ذكر له علتين عند شرحه للحديث التاسع والعشرون من شرح الأربعين النووية.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم".

ختم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته العظيمة بردّ العلم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقال: **والله أعلم**، ثم صلى وسلّم على النبي محمد ﷺ، وبهذا نكون قد انتهينا من التعليق على هذه الرسالة العظيمة المباركة.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرحم شيخ الإسلام وأن يُعظم أجره ويرفع ذكره، وأن يجمعنا معه في دار كرامته إنّه جواد كريم، و نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يُهيئ لنا من أمرنا رشداً، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلنا من عباده الموحدين، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

هذا ما تيسر جمعه ونقله وأسأل الله لي ولكم الإخلاص في القول والعمل وأن يغفر الذنب والزلل وما حصل من التقصير والخلل، والشكر موصول لشيخنا أبي الحسن عليٍ الرملي وفقه الله وزاده من فضله وجعل ما قدّم ويقدم رفعةً له في الدرجات ومغفرة له من الزلات والخطيئات، وجزاه الله خيراً، ولكم أنتم كذلك ياطلبة العلم أسأل الله لكم الفقه في الدين والبصيرة واليقين ونفع الله بكم وجزاكم الله خيراً.

والله أعلى وأعلم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تم الفراغ منه:

ضحى يوم الخميس: ٠٩ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ